دولة الإمارات العربية المتحدة
مركز زايد للتنسيق والمتابعة



الطوائف اليهودية في الأقطار العربية

اهداءات ٢٠٠١
مركز زايد للتنسيق و المتابعة
ابوظبي

الطوائف اليهودية
في الاقطار العربية

فهرست الدراسة

تقديم

يقدم مركز زايد للتنسيق والمتابعة هذه الدراسة حول «الطوائف اليهودية في الأقطار العربية»، ضمن سلسلة الدراسات التي يحاول المركز من خلالها الرد على الأكاذيب والإدعاءات الصهيونية التي انتشرت بشكل كبير في العقود الخمس الماضية وساعدتها على الإنتشار وسائل الإعلام والنفوذ اليهودي في كثير من دول العالم وخاصة في الغرب.

وتستعرض الدراسة تاريخ الأقليات اليهودية في مجتمعات الدول العربية المختلفة مثل العراق وسوريا والجزيرة العربية واليمن ومصر والسودان والمغرب وتونس والجزائر وليبيا، وتقدم الى جانب العرض التاريخي لوجود اليهود في هذه الدول عرضاً لمشاركات اليهود في مجتمعات هذه الدول في كافة المجالات السياسية والإقتصادية والإجتماعية، وأيضاً الدور الذي لعبه اليهود بأشكال علنية وغير علنية في اقتصاديات هذه الدول وسياساتها الداخلية والخارجية.

وتخلص الدراسة الى نتائج موضوعية هامة منها، أن اليهود حظوا في ظل الحضارة الإسلامية العربية بما لم يحظوا به في تاريخهم في ظل أية حضارة أخرى، وتمتعوا في ظل الإسلام وفي إطار أحكام «هل الذمة» بما لم يتمتعوا به في تاريخهم من حقوق في مجتمعات أخرى، ولم يلقوا التعصب ولا العنصرية أو الإضطهاد مثلما لقوا في المجتمعات الأخرى، وخاصة الأوروبية.

وتحث الدراسة الباحثين والمختصين العرب على قراءة وثائق التاريخ الموجودة في حوزتهم قراءة موضوعية تميط اللثام عن الحقائق التاريخية والوجه المضيء للحضارة العربية الإسلامية، وليسدّو الباب أمام فئة من الغربيين استغلوا هذا الموروث أسوء إستغلال واستطاعوا إلى درجات معينة تشويه تاريخ العرب وحضارتهم، وأزاحوا الحقائق ليحلوا محلها الأكاذيب والادعاءات الصهيونية الباطلة.

مركز زايد للتنسيق والمتابعة

تمهيد تاريخى عام
المستشرقون والمؤرخون اليهود والتأسيس الزائف للتاريخ اليهودى القديم

استغل المؤرخون الصهاينة النقص الحاد في المعلومات لدى الشعوب بتاريخ اليهود وأغراض الصهيونية، فاحتكروا لأنفسهم ولأعوانهم من الباحثين والكتاب البحث في هذا الموضوع عبر الزمن الطويل، فدونوا ماراق لهم ان يدونوه عن تاريخهم وتاريخ اليهودية، بحيث أصبح الناس لا يعرفون من هذا التاريخ غير ما اريد لهم أن يعرفوه في إطار عملية تزييف تاريخية كبرى رافقت المشكلة اليهودية منذ بدايتها، وبلغت من الدقة والعمق والشمول ما جعلنا نجد أحيانا كتابا عربا يسيرون من حيث لا يدرون في نفس الطريق التى اختطتها أجهزة الدعاية والتضليل الصهيونية، وهم يحسبون أنهم يفضحون النوايا الصهيونية(١).

والنتيجة النهائية لهذه العملية التاريخية التى أجراها المؤرخون اليهود وبعض المستشرقين على تاريخ المشرق العربى صدور طوفان من دوائر المعارف والموسوعات والكتابات التاريخية اليهودية التى هودت المشرق وجعلت من فلسطين بلدا يهوديا خالصاً طوال تاريخه القديم والمسيحى والاسلامى والحديث، وتم طمس الهوية العربية للمنطقة، كما تم طمس هويتها الاسلامية، والغريب أن المصادر الغربية في تاريخ المشرق العربى وحضارته تخلو في معظمها من أية دراسة عن العرب عموما وعن الفلسطينين خصوصاً، فالعرب لدى البعض منهم ليس لهم تاريخ قديم أو حضارة قديمة تستحق ان توضع في مصدر يتحدث عن المصريين والبابليين والأشوريين والفرس واليونان والرومان.

وفى الوقت ذاته الذى يخصص فيه بعض المستشرقين أبواباً عن العبريين والاسرائليين واليهود رغم قلة منجزاتهم التاريخية أو الحضارية في التاريخ القديم، فإن تاريخ فلسطين يدرس داخل إطار التاريخ اليهودى، وكتاريخ ثانوى على هامش التاريخ

اليهودى، وكثيرا ما تحيل دوائر المعارف اليهودية القارئ لمادة «فلسطين» أو «الفلسطينين» إلى مادة «العبريين» أو «اليهود» وكأن فلسطين لا وجود لها، وكأن الفلسطينين جماعة على هامش التاريخ وتابعة في تاريخها لمعطيات التاريخ اليهودى وإفرازاته(٢).

وتأسيساً على ذلك الإتجاه أفلح المؤرخون اليهود في صياغة التاريخ العربى القديم في ارتباطه بالرواية التوراتية وتلخيصه في المراحل التالية :-

أ) مرحلة الاباء :

وهى أقدم مراحل التاريخ والديانة اليهودية، وخلاصة مضمونها ان الاباء الإسرائيليين، ابتداء من ابراهيم واسحاق ويعقوب ويوسف (عليهم السلام) قد تلقوا وعودا الهية بامتلاك ارض فلسطين هم وذريتهم من بعدهم. وان «التاريخ الإسرائيلي» اللاحق يعتبر المسرح الذى تحققت عليه هذه الوعود(٣)، ومن هنا كان أول ذكر «لليهود» في التاريخ المصطنع مع ابراهيم - ابى الانبياء ابراهيم الخليل عليه السلام - بالقول أنه ظهر مع قومه في القرن الثامن عشر ق.م كجماعة من الرعاة الرحل على المشارف الجنوبية للعراق الذى كان يؤلف دولة الكلدانين في أور، ثم هاجروا في دورة عكس عقارب الساعة شمالا بغرب ثم جنوباً على طول حواف الهلال الخصيب حتى وصلوا إلى حاران ثم إلى فلسطين، وهناك أنجب ابراهيم عليه السلام، اسحق (عليه السلام)، ومن اسحاق (عليه السلام) جاء يعقوب (عليه السلام)، ومن أبناء يعقوب تتأصل القبائل، أو الأسباط الاثنى عشر الشهيرة في التوراة والتاريخ.

وتجدر الاشارة هنا إلى ان هناك ثمة ثلاث تسميات مترادفات لما تعارف عليه المؤرخون على تسميتهم «باليهود» وهى : «اسرائيل» و «العبريون» و«اليهود» : الأولى نسبة مباشرة إلى إسرائيل الاسم البديل ليعقوب عليه السلام، أما «العبريون» فيرجح أنها مشتقة من هجرتهم المفترضة من كلدان إلى كنعان حيث «عبروا» النهر - نهر الفرات أو نهر الأردن - لاندرى أيهما المقصود تماما - فسموا بالعبرانيين.

وأغلب تاريخ اليهود كما صور في تلك المرحلة تاريخ دموى لا أخلاقى يدور حول الحرب

والغزو، إلا أن الهزيمة كانت من نصيبهم غالباً، وعلى يد الفلسطينين أقوى أعدائهم بصفة خاصة، حتى إذا كان منتصف القرن السابع عشر، أى بعد ١٥٠ سنة من هجرة ابراهيم، هاجر يعقوب وأولاده إلى مصر بسبب القحط المشهور، وفيها استقروا بأرض جاشان (وادى الطميلات - الشرقية) نحواً من ٣٥٠ سنة إلى أن خرج بهم موسى عليه السلام (من الجيل السابع بعد ابراهيم عليه السلام) من مصر حوالى القرن الثالث عشر ق.م، وذلك هرباً من اضطهاد فرعون مصر (ربما رمسيس الثانى) الذى لم يحسن معاملتهم لتعاونهم في خيانة واضحة مع الهكسوس غزاة مصر.

ب) المرحلة الثانية :

(مرحلة الخروج من مصر وبلوغ أرض فلسطين) : إذ تشير التوراة إلى أن العودة إلى أرض كنعان كانت هى هدف الخروج من مصر، غير ان خوف اليهود من الكنعانيين - العرب الساميون في كنعان (فلسطين) - أدى بهم إلى المعصية فعقاب التيه في سيناء ٤٠ سنة إلى أن قادهم يشوع بن نون إلى نهر الأردن حيث انتزعوا بعضا من ارض كنعان في الداخل، ولكن دون العاصمة يبوس (القدس) وساحل الفلسطينين.

كذلك تشير التوراه إلى أنه في مجزا الألف الأولى ق.م وحد داود عليه السلام الأسباط أو قبائل اسرائيل الاثنى عشر، وهزم اليبوسيين والفلسطينين وأسس مملكة إسرائيل التى لم تلبث أن انشطرت بعد خليفته سليمان عليه السلام إلى مملكتين : مملكة يهوذا جنوبا وتضم قبيلتى : يهودا وبنيامين، ومملكة اسرائيل شمالاً في الساهره وتضم القبائل العشر الباقية، ومن المهم هنا ملاحظة أن حدود هاتين الدولتين تتفق إلى حد كبير لامع رقعة اسرائيل المزعومة حالياً، وإنما مع رقعة الضفة الغربية من نهر الأردن فحسب(٤).

ج) المرحلة الثالثة والاخيرة (مرحلة الشتات اليهودى) :

وتبدأ هذه المرحلة مع وقوع هاتين الدولتين في سياسة المضاربة بين مصر والعراق أو الخضوع لهما، فتعرضت المملكة الجنوبية لطرقات مصر مرتين : الأولى على يد شيشنق والثانية على يد تخاو، إلى أن جاء دور المملكة الشمالية حين قضى عليها نهائياً

سرجون الاشورى في القرن ٨ ق.م (عام ٧٢١ ق.م)، ثم قضى نبوخذ نصر البابلى على الدولة الجنوبية عام (٥٨٦ ق.م) حيث دمر اورشليم والهيكل تماما، وبذلك لم تزد إقامة اليهود المتصلة نسبيا في فلسطين عن حوالى ٣٠٠سنة من القرن العاشر ق.م حتى بدايات القرن السابع ق.م، وتكفل الحاكم الرومانى تيتوس بالقضاء على فلولهم الباقية في القرن الأول الميلادى (٧٠م) حيث انتهت بهذا السبى الرومانى تماماً علاقة اليهود بفلسطين سياسياً وسكانياً، ولم يتبق منهم سوى شرازم محدودة ازدادت تناقصاً فيما بعد وتحوّل بعض أفرادها إلى المسيحية، بينما فر أغلب اليهود إلى مصر وسوريا واتجه بعضهم صوب جنوب اوروبا وحوض البحر المتوسط، وبعد ذلك إلى روسيا وشرق وأواسط أوروبا، ثم تركزت هجراتهم منذ العشرينات من القرن الحالى نحو أمريكا الشمالية ليشكلوا بوجودهم هناك أضخم تجمع لليهود في شتاتهم الدائم(٥).

ويلاحظ في هذا السرد التاريخى العام إدعاء الرواية التوراتية خلافا للواقع التاريخى بأن العراق وطن اليهود الاصلى لانهم هاجروا مع ابراهيم الخليل من العراق إلى فلسطين قبل ألفى سنة ق.م وكان عددهم أربعة آلاف نسمة، وهكذا ربطوا نسبهم وأصلهم بابراهيم الخليل وبالعراق على اعتبار ان العراق كان موطنهم الأصلى الذى هاجروا منه، هذا في حين ان المعلومات التى تركها لنا الاقدمون تدل على أن اليهود ظهروا في العراق لأول مرة في عهد الاشوريين بصفة أسرى في أواخر القرن الثامن وأوائل القرن السابع ق.م، أى بعد عصر ابراهيم الخليل بألف ومائتى سنة لأن ابراهيم الخليل ظهر في القرن التاسع عشر ق.م حسب رأى الخبراء المحدثين.

هذا في حين ان التوراة ذاتها تؤكد أن ابراهيم الخليل هاجر من العراق بمفرده فذهب ومعه سارة امرأته ولوط ابن اخيه (سفر التكوين ١٢ : ١ ، ٢٤ : ٤-٥) ولم يكن لليهود وجود في العراق في عصره، ومن ثم فليس لليهود اى تعاصر مشترك مع ابراهيم الخليل عليه السلام.

وطبقاً لهذه الرواية التاريخية التوراتية يدعى الصهاينة فيما يكتبون وينشرون في وسائل اعلامهم، وبخاصة ما يلقنونه لطلاب المدارس ان ارض فلسطين ملك اليهود

عبر التاريخ منحها لهم الرب في الكتاب المقدس، هذا في حين ان ارض فلسطين باعتراف التوراة ذاتها كانت أرض غربة وشتات بالنسبة إلى آل ابراهيم وآل اسحق وآل يعقوب، إذ كانوا مغتربين في ارض فلسطين بين الكنعانيين سكانها الأصليين، ثم أن أبناء يعقوب الاثنى عشر ولدوا كلهم باعتراف التوراة في خدان ارام (منطقة حران) حيث مكث أبوهم يعقوب المسمى بإسرائيل عشرين سنة، وفى كل ذلك دلائل وافية على أن وطن بنى اسرائيل الاصلى لم يكن فلسطين بل منطقة حران الآرامية حيث كانت تقطن العشائر الآرامية، وأن جميع الأخوة الاثنى عشر الذين ورد ذكرهم في التوراة ولدوا ونشأوا خارج فلسطين(٦).

وعلى هذا يمكن القول بأن تاريخ اليهود القديم يعكس حالة واضحة للاغتراب والتجوال بين الممالك العربية السامية القديمة (بابل وآشور وكنعان وآرام) ومصر القديمة، وليس بمستغرب أن تكون تواريخهم الحديثة استمرارا لحالة الشتات الأبدية المصاحبة لهم في صورة اليهودى الضال أو التائة بين الشعوب الأخرى دائماً.

تواريخ الأقليات اليهودية (مدخل منهجي للدراسة)

بعد ان نشأت تجمعات يهودية في أماكن متفرقة من العالم داخل بنيات تاريخية متعددة أصبح لكل أقلية أو تجمع يهودى ظروفه التاريخيه ودينا ميته المستقلة عن ظروفه وحركة التجمعات الاخرى.

ولا يوجد في معظم الكتابات اليهودية أو الصهيونية أو الاستشراقية اى تمييز بين مختلف مستويات الدراسة التاريخية للاقليات اليهودية، إذ يتداخل التاريخ المقدس كما هو مدون في نصوص التوراة وسائر اسفار العهد القديم - على النحو الذى اوضحناه فيما سبق - مع التاريخ الموضوعى للعبرانيين، ويتداخل الاثنان مع تواريخ الاقليات اليهودية في مختلف أنحاء العالم ليصبح الجميع ما يسمى «بالتاريخ اليهودى الواحد».

وتداخل هذه المستويات التاريخية المتعددة مع إختفاء الأحساس بالبنيات التاريخية المنفصلة، فضلا عن انفصال (التاريخ اليهودى المقدس) عن التاريخ الانسانى العام قد يكون سببا - وفى الوقت ذاته نتيجة - لحلولية الدين اليهودى، إذ أنه طبقا للتصور اليهودى القديم يرى اليهود ان تاريخهم (تاريخ مقدس) يعبر عن الإرادة الربانية، فإله إسرائيل يتدخل في التاريخ اليهودى من آونة لاخرى، والأمة اليهودية لم تأت للوجود من خلال تطور تاريخ وإنما ظهرت من خلال تدخل إلهى مباشر، أى أن الخالق قد «حل» في «الشعب» وتاريخ الشعب.

وحلول الروح الإلهية في اليهود حولهم إلى أمة من القديسين والكهنة والانبياء، والتداخل الكامل بين المطلق والنسبى أو بين الله والشعب، أى بين الثابت والمتغير، أو بين التاريخ المقدس والتاريخ الانسانى هو سمة تكوينية اساسية في المنهج اليهودى التاريخى، فكتاب اليهود المقدس هو كتاب تاريخ (الشعب)، ورغم ان العلاقة مع الخالق في اليهودية تأخذ شكل حوار بين طرفين أحدهما مقدس مطلق والاخر زمنى نسبى، ومع هذا فالطرفان متساويان.

ويرى بعض فلاسفة التاريخ ان اليهود هم أول من اكتشف (فكرة التطور) التى هى

عماد الوعى التاريخى، كما أنهم يقولون أن حلول الله في التاريخ اليهودى قد حوله إلى خط مستقيم يتحرك نحو هدف أعلى وغاية نهائية (على عكس التعود الاسلامى الذى يرى ان الله – سبحانه وتعالى – قد ترك التاريخ للانسان مجالا لحريته واختياره، وبذا يصبح الانسان مسئولاً عن افعاله خيرة كانت أو شريرة)، ومن هنا لا يميز اليهود بين القيم التاريخية الموضوعية والقيم المقدسة ولا يفرقون بين القيم المثالية ومسار الواقع الفعلى.

وقد زاد شتات اليهود بلا شك من مدة النزعة المعادية للتاريخ بينهم، لان عدم استقرار اليهود في حضارة واحدة أو في مكان واحد جعل من العسير عليهم أن ينظروا إلى تراكم الأحداث على مر الزمن وداخل إطار محدد، كما أن فقدانهم للهوية الحضارية المتميزة جعل حسهم التاريخى الموضوعى يضمر فظلوا مرتبطين بالتاريخ المقدس.

وعلى ذلك، وطبقا لمناهج البحث التاريخى الموضوعى، ينبغى على دارس اليهود في الشتات ان يبحث عن (تواريخ) وليس (تاريخ) الأقليات اليهودية، ليؤكد انتماء اليهودى إلى بنيات تاريخية وثقافية متعددة، وليتسنى له فهم سلوك هذه الاقليات فهما حقيقياً في ضوء العناصر التاريخية المتشاكلة التى تحدد هذا السلوك، وليس في ضوء إنتمائها اليهودى الدينى/ القومى الوهمى(٧).

ومما لاشك فيه أن التخلف العلمى الذى أصاب العرب والمسلمين خلال القرون الماضية أدى إلى عدم الاهتمام بل والعجز عن تتبع آثار التاريخ القديم والحديث المتصل بعلاقة الطوائف اليهودية بحضارة الاسلام والعرب، والبرهنة على أصالة هذا التاريخ وسماحته بالمقارنة بما حدث لليهود في إطار الحضارة الغربية منذ العصور الوسطى، ففى الوقت الذى تقدم فيه علم التاريخ وعلم الآثار في القرنين الماضيين على المستوى الأوروبى، لم تستخدم ثمار هذين العلمين لخدمة كتابة التاريخ الاسلامى، فقد احتكر علماء الغرب وسائل هذين العلمين، واهتموا بالتنقيب عن الآثار والبحث عن المادة التاريخية في المناطق التى هدفوا إلى نزعها وفصلها عن تاريخها الحقيقى(٨).

وتقتضى الضرورة المنهجية أن يتم توجيه الأبحاث التاريخية والعلمية المختلفة للكشف

عما أفلح المستشرقون في التعتيم عليه من أخبار وآثار الحضارة الإسلامية وبخاصة في تعاملها مع أهل الذمة - ومنهم اليهود بطبيعة الحال - ومعالجة غياب رؤية عربية / اسلامية لتاريخ المشرق العربى وحضارته بصفة عامة.

يهود الشرق ومفهوم (أهل الذمة) في الخلافة الإسلامية

يهود الشرق هم على الأغلب يهود البلاد الاسلامية والعربية فضلاً عن يهود الأندلس، وهم يعرفون باسم : (اليهود السفاراديم) وهم الطائفة الثانية في سلم الطوائف الدينية/ الاجتماعية اليهودية، وتنظر إليهم الطائفة الأولى (الاشكنازيم) على أنهم أدنى مرتبة، ويتضح ذلك في أى قطر توجد به تجمعات من الطائفتين، إذ الأولى من أصول أوروبية والثانية من أصول «شرقية متخلفة» ، ولكن يجمعهم سويا إتّباعهم لتعاليم دينية واحدة فهم يؤمنون بالتوراه والتلمود وسائر الكتابات الدينية اليهودية.

وتخالف هاتان الطائفتان الطائفة اليهودية الثالثة وهم المعروفون باسم (القراؤن) في أمرين جوهريين أولهما : ان أتباع هذه الطائفة يؤمنون بالتوراة ولا يؤمنون بالتلمود، والاخر: أنهم في عاداتهم وتقاليدهم وأسمائهم، حتى في صلواتهم، أقرب ما يكونون إلى المسلمين لدرجة يصعب معها التمييز بين سيدة قرائية وأخرى مسلمة، وكذلك الرجال، كما أنهم يفضلون التحدث باللغة العربية، وتحمل اسماؤهم الطابع الاسلامى والعربى بالإضافة إلى التسميات التوراتية نحو : شماع ، زكى ، مراد.

وترجع أصول هذه الطائفة القرائية إلى عنان بن داود الذى أسس هذه الطائفة في العراق في القرن الثامن الميلادى، وقد تاثرت هذه الطائفة بنظريات القياس والاجتهاد في الفقة الاسلامى، وعددها أقل بكثير من الطائفتين الاخريين بالرغم من انتشار اتباعها في دول مختلفة، وهناك أيضاً طائفة يهودية اخرى تسمى (الاسينييم) يتصف اتباعها بالزهد والتقوى، ولزهدهم في الزواج لم يعد لهم أثر الان، وبقيت بعض كتاباتهم التى تعكس فلسفة قائمة على التفانى في حب الغير وكبح جماح النفس.

ويمكن القول على نحو يقينى ان يهود المشرق بطوائفهم المختلفة لم يتعرضوا لما عانى منه يهود أوروبا من اضطهادات وسوء معاملة كان سببها في معظم الاحيان المسلك اليهودى ذاته في هذه البلدان، بل عومل يهود المشرق على أنهم مواطنون مساوون لسائر ابناء القطر الموجودون فيه في إطار مفهوم (أهل الذمة) الذى أقرته الشريعة الاسلامية السمحة.

و«اهل الذمة» مصطلح يعنى أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وفى كتب اللغة : أهل

الذمة : هم المواطنون من غير المسلمين الذين يقيمون في دار الاسلام من اليهود والنصارى، وغيرهم من الذين صاروا في ذمة المسلمين، واعطوا الامان، ولهذا سمى المعاهد ذميا، فالذمة في الفقه الاسلامى هى العهد الذى يعطى للقوم عند فتح المسلمين لبلادهم، فلا يسترقون ويؤمَّنون على حياتهم وحريتهم، ثم على اموالهم ليقروا بها في دار الاسلام.

فوضع اهل الذمة داخل المجتمع الاسلامى يحدده قول الله تعالى :

«قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون» التوبة اية ٢٩.

ويرى بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى «حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون»، ان «الجزية» كفعله من : جزى فلانا ما عليه اذا قضاها بجزية. ومعنى الكلام حتى يعطوا الجزية التى يدفعونها للمسلمين، واعطاء الجزية بدلا عن القتال، وسميت «جزية» لانهم يجزون بها جزاء تأمينهم في دار الاسلام وحمايتهم والدفاع عنهم، ويختص عقد الذمة بالامام أو نائبة.

ولا ينتقص عهد أهل الذمة طالما أنهم يوفون بما اشترط عليهم من اداء جزية معينة، طالما أنهم لا يذكرون كتاب الله تعالى بطعن فيه أو تحريف ولا يذكرون دين الاسلام أو رسوله بذم له أو قدح فيه، ولا يفتنون مسلما عن دينه، ولا يعينون أهل الحرب على المسلمين.

أما الشئون الداخلية لليهود فقد تركت لهم - في ظل السماحة الاسلامية - بما يتلائم مع خصوصية وضعهم، وتركت لهم حرية الحكم فيما بينهم حسبما ورد في كتبهم، يدل على ذلك قوله تعالى «وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يقولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين» (المائدة اية ٣٤) وإن طلب أحدهم المحاكمة أمام قضاة مسلمين أجيز له ذلك، أما اوقاف اليهود فكان مسموحا لهم باستغلالها ووقف بعضها على كنائسهم وشؤونهم، ويحل للمسلمين التعامل مع أهل الذمة بالبيع والشراء والطعام والهدايا «بشرط ما يجوز شرعا» ومن ذلك يتضح أن اليهود كانوا يمثلون

التواجد الذمى المستأمن في حماية الدولة الاسلامية.

ويذكر الدكتور فؤاد حسنين إن التاريخ اليهودى خير شاهد على حسن رعاية العرب والمسلمين لليهود، إذ يعترف بعض مؤرخيه المنصفين بأن العرب أحسنوا معاملة اليهود عندما كانوا يهربون من وجه الطغاة من حكامهم في فلسطين أو فزعا من اضطهاد الرومان واليونانيين، فقد نزل أولئك اليهود الجزيرة العربية فوجدوا أهلا وسهلا، وحينما جاء الاسلام أحسن معاملتهم مما دفع المؤرخ اليهودى الشهير جريتز إلى الإشادة بعدالة العرب وانسانيتهم في كتابه «التاريخ اليهودى»(٩).

يهود الاقطار العربية المشرقية

اولاً : يهود العراق :

دلت الدراسات التاريخية المستندة إلى الاكتشافات الاثارية الحديثة على أن اليهود لم يظهروا على مسرح الأحداث المقترنة بابراهيم الخليل عليه السلام، وانهم لم يهاجروا معه في بداية الالف الثانية ق.م كما تشيع الكتابات الصهيونية، كما ثبت ان اقدم وجود لليهود في العراق يرجع إلى عهد الامبراطورية الاشورية العراقية الاخيرة الذى دام ثلاثة قرون كاملة ما بين سنة ٩١١ ، ٦١٢ ق.م، وذلك حين حرر الاشوريون فلسطين من اليهود في عدة حملات قاموا بها على فلسطين فنقلوهم اسرى إلى شمالى العراق في اماكن جبلية نائية (مناطق شمالى العراق وايران وتركيا) وأحلوا محلهم اقواما من مختلف انحاء الامبراطورية الاشورية، ثم جاء نبوخذ نصر وحطم مملكة يهوذا نهائيا (٥٨٦ ق.م)، وبذلك ارتبط وجود اليهود بالعراق القديم بحالة الاسر بعيدا عن المدن الرئيسة انذاك(١٠).

وفى عام ٥٣٩ ق.م سقطت بابل بأيدى الفرس تحت قيادة قورش أول ملوكهم، وفى السنة التالية أصدر قورش - الذى تزوج من يهودية - امرا سمح فيه لليهود بالمغادرة وإعادة بناء الهيكل، ولكن لم يغادر الا قلة ضئيلة منهم، مما يشير بوضوح إلى أنهم ألفوا مكان إقامتهم، ولم يجدوا بواعث دينية جوهرية تفرض عليهم العودة إلى فلسطين.

وقد حظى اليهود في العراق القديم - في ظل تسامح عام مع تقاليدهم - باستقلال ذاتى في شئونهم العائلية والدينية وأحوالهم الشخصية، فتقدمت المؤسسة الدينية والثقافية اليهودية في العراق اكثر فأكثر، وحرروا التلمود البابلى - ثانى أهم كتبهم الدينية - وأسسوا معاهد علمية دينية مهمة ابرزها اكاديمية نهر دعا ثم أكاديمية سورا واكاديمية بومبادفيا الشهيرتان، ونظموا شئون الجماعة تحت زعامة (رأس الجالوت) أى : رئيس الطائفة : ذو السلطة الدينية والدنيوية على الطائفة(١١).

يهود العراق في ظل الحكم الاسلامى

مع مجئ الحكم الاسلامى رحب يهود العراق بقدوم المسلمين لتخليصهم مما باتوا يلاقونه مؤخرا في نهاية عهد الحكم الفارسى الزرادشتى، فقد وصلت معاناتهم في تلك الفترة إلى إعدام رأس الجالوت وكبار رجالات الطائفة، واغلاق مؤسساتهم الدينية والعلمية التى عدت في يوم من الأيام أهم المرجعيات اليهودية في المشرق آنذاك، وهو الأمر الذى أدى إلى فقدانهم - مرحليا - لمركزهم المتميز، وانتقال القيادة الدينية اليهودية إلى الاندلس.

وتحت الحكم الاسلامى تمتع يهود العراق بالاعتراف بهم «اهل كتاب» و «اهل ذمة» داخل ديار الاسلام وفى ظل حمايتهم، وقرب العديد من الخلفاء / أهل العلم والدراية من اليهود، ولاسيما الخليفة المأمون الشغوف بالعلم والعلماء، وصار راس الجالوت بفضل اهمية العراق رئيس الطائفة اليهودية في العالم اجمع واستفاد اليهود من جو التسامح والرعاية، فلمع منهم العديد من العلماء والاطباء والحرفيين والخازنين ورجال المال، وكان منهم الطبيب «فرات بن شحناتا» و «حسداى بن اسحق» واستمروا في ذلك حتى عهد الخليفة المتوكل اذ مورس ضدهم فيه بعض التمييز السلبى، ولكن فيما بعد، في أيام الخليفة المعتضد عادت اوضاعهم إلى التحسن، وازدهرت معاهدهم من جديد، خصوصا اكاديمية سورا التلمودية، ولمع من الاحبار والعلماء «سعديا بن يوسف» المعروف «بسعديا الفيومى» و «هارون بن يوسف» وغيرهما.

وفى منتصف محرم (٦٥٦هـ - ١٢٥٨م) سقطت بغداد على يد هولاكو المغولى وقد ارتكب جنده الفظائع واعملوا في الناس السيف والنار فهلك كثير من ابناء مدينة بغداد على اختلاف اديانهم، وبذلك انتهت الدولة العباسية، ولم يسلم اليهود من هذه الكارثة - بطبيعة الحال - فنالهم ما نال المسلمين والمسيحيين وغيرهم، إلا أن أمرهم تحسن عندما نال أحدهم حظوة طيبة لدى المحتلين وهو الطبيب «سعد الدولة» الذى اصبح مستشارا للسلطان (آرجون) (١٢٨٤ - ١٢٩١م)، وبعد موت هذا السلطان فقد اليهود

سندهم، وقد توصل (سعد الدولة) إلى السلطان عن طريق الطب، وشرح له احوال بغداد، وبعد ان اقتنع به مكنه من العراق، وعده من الناصحين له والمخلصين لمصالحه، فصار بين خزائن المغول، ونال كل سلطة وصار قوله الفصل، فعين اخوته ولاة في بغداد والموصل، غير أنه ما لبث ان اساء للمسلمين واضر بنفقات مساجدهم واوقافهم، فثاروا عليه وعلى طائفته من اليهود، وكانت عاقبته القتل، كما ثارت العامة على اليهود ونبهوا احياءهم، وحدث مثل ذلك في الموصل إلى ان قام «جمال الدين الاستجراداني» الذى فوض إليه أمر العراق بمنع العوام عن ذلك وحبس جماعة منهم وقتل شخصين فسكتت الفتنة.

وفى سنة (٨٠٢هـ - ١٤٠٠م) احتل تيمور لنك العراق فهلعت قلوب سكانه، وخاف اليهود بطشه واجتمعوا في بغداد، الا ان كثيرين منهم قتلوا اضافة إلى غيرهم من المسلمين، ويقال ان تيمور لنك قتل في تلك السنة نحو ١٠ الاف يهودى في البصرة والموصل، ودمر مدارسهم وانقطعت الرئاسة بينهم زمنا وتبددت الجماعة في المدن والاقاليم وساءت احوالهم كما يقول المؤرخون.

سليمان القانونى واليهود :

كان عدد اليهود قد نقص بصورة واضحة بعد نكبة المغول وسقوط بغداد وساءت احوالهم كبقية السكان، اما السلطان سليمان الأول (القانونى)، الذى امر بالسيطرة على بغداد سنة ٩٤١هـ - ١٥٣٤م فانه لم يلحق الاذى باليهود لما عرف عنه من الحكمة والتسامح، ويقول المؤرخون ان النصارى واليهود عاشوا في هذه الفترة في ظل نظام كان التساهل فيه يزيد على ما كان في الاقطار الاخرى فقد كانت بغداد عالمية إلى حد انها لا تشجع شيوع التعصب، وعلى ذلك حظيت الاقليات من غير المسلمين بمعاملة سمحة لان الناس قد الفوهم نظرا لطول اقامتهم ولعدم وجود ما يمنع اختلاطهم بباقى السكان من المسلمين.

وفى هذه الفترة ايضا جاءت جماعات يهودية مهاجرة من فارس إلى بغداد وسبب

الهجرة ان الشاه عباس الأول اراد أن يكثر سكان مملكته، فانعم على الغرباء كثيرا، فأتوا إليه من كل صوب للاقامة وللتجارة، وكان بينهم جماعة من اليهود الذين استأثروا بالتجارة واغتنوا بها، الامر الذى لم يرق لكثير من الايرانيين الذين انتقموا من اليهود، واجبروهم على الرحيل إلى بغداد باعداد كبيرة(١٢).

أوضاع يهود العراق التربوية والثقافية خلال العهد العثمانى :

حول الاوضاع التربوية والثقافية لليهود خلال العهد العثمانى تجمع المصادر التاريخية على ان اليهود ونتيجة لوعيهم المبكر لاهمية المدارس اسسوا (جمعية الاتحاد الاسرائيلى) مدرسة ببغداد ونظمت مناهجها على غرار المدارس الابتدائية الاوربية، وتوسعت هذه المدرسة بعد ان شيد لها البرت داود ساسون دارا عامرة سنة ١٨٧٤ وساهمت هذه المدرسة فى تخرج كثير من الشخصيات اليهودية، وظلت (الاليانس) المدرسة الوحيدة لليهود فى بغداد حتى ١٩١٢م حيث نشطت حركة التعليم اليهودى.

وقد شهد العراق فى تاريخه الحديث اهتماما متزايدا من اليهود بتربية اطفالهم فى مرحلتى رياض الاطفال والمدارس الابتدائية، وهو اهتمام يدخل فى نطاق الاهتمام الصهيونى بتعليم الاطفال تنفيذاً لقرارات سابقة صدرت عن مؤتمرات الحركة الصهيونية العالمية، يضاف إلى ذلك ان عدد طلبة المدارس اليهودية الابتدائية والمتوسطة والاعدادية وعددها (٢٦ مدرسة) قد بلغ عام ١٩٥٠/٤٩ (١٠٤٠٥) طالبا وطالبة، وان (٣٣٣٢) من طلبة المدارس اليهودية من البنين والبنات كانوا لا يدفعون الرسوم الدراسية باعتبارهم من ابناء الطبقة الفقيرة، ومن جهة اخرى فان سبع مدارس الحقت بها سبعة معابد لتلاوة التوراة والتلمود والتعليم الدينى باللغة العبرية، وقد سميت هذه المعابد باسماء المدارس الملحقة بها (عدا واحدة)، وهذه المعابد هى : كنيسى مسعوده شمطوف، كينسى راحيل شحمون، كنيسى مسعوده سلمان، كنيسى منشى صالح، كنيسى مندال، كنيسى شماش، وكنيسى عبد الله داود ساسون فى مدرسة البرت ساسون.

ورغم ان هناك مدارس اهلية قد تأسست في العراق إلى جانب المدارس اليهودية التى لا يخلو بعضها من طابع دينى أو مذهبى، فان المدارس اليهودية كانت لاهتمام المشرفين عليها، من يهود العراق الاثرياء وعبر صلاتهم بيهود اقطار العالم، تربة خصبة للدعاية الصهيونية ولجذب اليهود العراقيين وشدهم إلى «ارض الميعاد»فلسطين، حتى لأولئك الذين لا صلة لهم مباشرة بالحركة الصهيونية العالمية وبالكيان الصهيونى بعد قيامه عام ١٩٤٨م.

كما كانت المدارس اليهودية اكثر انغلاقا على نفسها من المدارس الاهلية غير اليهودية بقصد عزل اليهود العراقيين عن سائر ابناء وطنهم، مثلما اعتزلوا في احيائهم السكنية الخاصة بهم (الجيتو اليهودى) التى اوجدوها في بغداد وفى المدن العراقية الاخرى.

ويذكر أن أغلب بنايات المدارس اليهودية قد شيدها يهود اثرياء معرفون، وقفوا املاكهم لتصرف وارداتها على شئون المدارس التى شيدوها وهؤلاء هم : السيرالبيرت داود ساسون الذى شيد مدرسة باسمه للدراستين الابتدائية والمتوسطة للبنين، والسيرايلى خضورى الذى شيد مدرسة باسم زوجته (لورا خضورى)، وايليا شمحون الذى شيد مدرسة باسم ابنته (راحيل شمحون) ووقف يعقوب شلومو شماش بناية المدرسة التى عرفت باسم شماش الاعدادية للبنين.

ان الدافع الدينى المؤثر في نفوس العوائل اليهودية وانتظام سير الدراسة وتدريس اللغات الاجنبية الحية ودروس المحاسبة ومسك الدفاتر وتعليم المهن والحرف والمساعدات المالية التى تتلقاها هذه المدارس اليهودية من الاثريات والاوقاف ووزارة المعارف، هذه العوامل جميعا قد خلقت وضعا متميزا للمدارس اليهودية وبصورة خاصة في بغداد، حيث هيأت للطائفة اليهودية مجالات التعليم واتقان اللغات الاجنبية ودخول الجامعات العراقية الاوروبية والامريكية فقضت على نسبة كبيرة من الامية في صفوف اليهود.

ومن الجدير بالذكر ان تطورا كبيرا حدث، في أواخر الثلاثينات حيث توجهت الفتيات

اليهوديات لمواصلة دراستهن العليا، وتخرجت الدفعة الأولى من الفتيات اليهوديات من كلية الحقوق عام ١٩٤١، وفى الفترة من ١٩٤١ - ١٩٥٠ تخرجت (٦٠) فتاة يهودية من كليات الهندسة والطب والحقوق، كذلك فتحت مدارس «الاليانس» اليهودية ابوابها لغير اليهود من المسلمين والمسيحيين من اجل التأثير في نفوسهم، اذ اعتبر هؤلاء المسلمون والمسيحيون انفسهم مدينين لهذه المدرسة اليهودية أو تلك التى (انعمت) عليهم بالتعليم الحديث(١٣).

يهود العراق والماسونية والدعاية الصهيونية

لم يكن اليهود في العراق بمنأى عن توجهات ومؤثرات الدعاية الصهيونية فقد توجهت الحركة الصهيونية إلى العراق في وقت مبكر، فمن ناحية سعت الصهيونية العالمية للحصول على موافقات من السلطة العثمانية لتوطين يهود اجانب في العراق، وهنالك رسالة من (تيودور هرتزل) مؤسس الحركة الصهيونية، مؤرخه في ١٩٠٣/٦/٤ تشير إلى ذلك، الا ان هذه المحاولة فشلت ولم يكتب لها النجاح، ولم تكن الصهيونية تبغى توطين يهود اوروبيين في العراق فقط، بل سعت ايضا إلى كسب اليهود العراقيين إلى جانب الفكرة الصهيونية، فقد كشفت رسالة بعث بها «اهارون ساسون الياهوناحوم» الذى زار فلسطين في اواخر ١٩١٨م إلى مسئول صهيونى في يافا في نيسان ١٩١٩، ان الفكرة الصهيونية ترسخت جذورها في قلب كل واحد من ابناء الطائفة اليهودية، على حد قوله، وان عددا من زملائه قد اقروا تأسيس جمعية صهيونية كان من مهماتها الاساسية تزويد الاعضاء بالمعلومات الكافية عن الحركة الصهيونية ومساعدة الراغبين في الهجرة إلى فلسطين بهدف الاستيطان واحياء اللغة العبرية في اوساط الشباب اليهود في العراق.

وفى عامى ١٩٢٠ و ١٩٢١ قام عدد من اليهود الاثرياء في العراق بشراء أرض في فلسطين، ثم اسس اليهود والصهاينة في تموز ١٩٢٠ «الجمعية الادبية العبرية» ، ترأسها ضابط شرطة يهودى يدعى شلومو روبين حيا، واصبح سكرتيرها سلمان شينا،

والحقت بالجمعية مكتبة تحتوى على الكتب والادبيات والصحف اليهودية، واصبحت الجمعية مركزا للنشاط الصهيونى وتحت ستار العمل من اجل الادب العبرى وتطويره.

وفى اوائل عام ١٩٢١م، وبعد ان توقفت الجمعية عن اعمالها، اجتمع عدد من الصهاينة في مقر الجمعية وانتخبوا هيئة ادارية جديدة لجمعيتهم وتقدموا إلى المندوب السامى البريطانى في ٢٢ شباط ١٩٢١م بطلب الترخيص لتأسيس أول جمعية صهيونية في العراق، وتمت الموافقة على الطلب في ٥ آذار ١٩٢١م واصبح «اهارون ساسون الياهو ناحوم» رئيسا لها.

وقد اكد حاييم كوهين انه كانت لليهود في هذه الفترة منظمة صهيونية نشطة اعترف بها رسميا في ٥ آب ١٩٢١م ، وبعد وضع العراق تحت الانتداب البريطانى واعتلاء فيصل الأول عرش العراق في آب ١٩٢١م بوقت قصير رفضت الحكومة العراقية تجديد رخصة المنظمة الصهيونية في تموز ١٩٢٢.

ومن الواضح هنا ان تعطيل المنظمة الصهيونية التى تحدى اسمها ونشاطها الصهيونى مشاعر ابناء العراق جاء نتيجة لتعاظم الوعى القومى في صفوف العراقيين بخاصة بعد صدور وعد بلفور في ٢ تشرين الثانى ١٩١٧م مما أجبر الحكم في العراق على رفض تجديد رخصة المنظمة الصهيونية.

إلا أن الحركة الصهيونية العالمية وحليفتها الماسونية قد وجدت في رجال بريطانيا المهيمنين على شئون العراق انذاك خير عون لها لاقامة منظمات ومحافل في العراق تعمل في الخفاء، مع علم السلطات الحاكمة بوجودها ونشاطاتها.

إن زعماء الحركة الصهيونية العالمية هم في الوقت ذاته من أنشط العاملين في المحافل الماسونية، وإن رجال بريطانيا في العراق، في عهدى الاحتلال والانتداب كانوا يحرصون اشد الحرص على سرية النشاط الماسونى في العراق، كما جاء في الكتاب الذى بعث به المستشار القضائى لوزارة العدل «ديفيدس» إلى مستشار وزارة الخارجية حيث اشار في كتابه السرى المرقم ٤٩٤ والمؤرخ ١٩٢٢/٩/٢٧ إلى أنه قد أكد في حوار مع (ساسون افندى) - الذى تؤكد شواهد ووقائع عديدة انه ساسون افندى حزقيال - أن الحكومة

التركية قد استثنت في قانون الجمعيات الذى كان مشابها للقانون البريطانى، المحافل الماسونية من الترخيص الرسمى، واكد ان محفلا جديدا في طريق التشكيل في تلك الاونة.

كما كشفت الرسالة المؤرخة في ١٩١٠/٥/٢٩ التى بعث بها السفير والشواهد، دور اليهود الماسونيين في التخطيط للانقلاب على السلطان العثمانى عبد الحميد، ووقع الانقلاب لتحقيق اهدافهم في فلسطين والبلاد العربية وخاصة العراق.

كان عدد من اليهود في العراق ومن بينهم ساسون أفندى حزقيال من أوائل الماسونيين الصهاينة الذين كانت لهم مكانتهم في المحافل الماسونية التى أقيمت في العراق حيث تأسس أول محفل ماسونى في البصرة عام ١٩١٨م بمبادرة من الحكام والضباط الإنجليز تبعه إنشاء محفل ثان في بغداد .

وقد أدركت الحركة الماسونية ومنذ البدء أن التأثير العائلى على الأطفال والأحداث والشباب يحول دون تأثير هذه الحركة فيهم ، لذا وجدت طريقة أخرى لإيقاع الأحداث في حبائلها فأخذت منذ الثورة الفرنسية تسعى لإحتكار التعليم واخضاع جميع المدارس لهيمنتها وتوجيهاتها كى تؤثر في نفوس الناشئة وعقولهم وسلوكهم ، ولهذا فقد اعتبرت « تهذيبهم » على أيديها حجر الزاوية في بناء الحركة الماسونية .

ويمكن القول بأن جمعية « الاتحاد الإسرائيلية الأليانس» التى تأسست سنة ١٨٦٠م في باريس وفرعها في لندن كان من مؤسسيها يهود ماسونيون تربطهم بعدد من يهود أقطار العالم – ومن بينها الأقطار العربية – روابط العمل السرى في المحافل الماسونية التى ينتمون إليها ، وقد أصبحت هذه الصلات التى وثقت عراها روابط الدين والتوراة والتعامل الاقتصادى - التجارى الأساس لإقامة تنظيمات صهيونية بعد سبع وثلاثين سنة (من عام ١٨٦٠ تأسيس جمعية الأليانس حتى عام ١٨٩٧ انعقاد المؤتمر الأول للحركة الصهيونية العالمية) .

إذ كان « ممثلو صهيون» الذين وقعوا على البرتوكولات الصهيونية الأربعة والعشرين التى أقرها مؤتمر بال بسويسرا ، هم أنفسهم ممثلوا الماسونية ممن بلغوا في مراتبها

السرية الدرجة الثالثة والثلاثين ، وعلى رأسهم تيودور هرتزل ، مؤسس الحركة الصهيونية العالمية .

وكان النفوذ الصهيونى - الماسونى قد تزايد في جمعية الاتحاد الإسرائيلية بعد تأسيس أول محفل ماسونى في باريس عام ١٧٢٥م ، وقد استهدفت الجمعية من مدارسها التى أسستها في العراق منذ عام ١٨٦٤م إيجاد مرتكز اجتماعى وثقافى للحركة الصهيونية، ويمكن القول أن الماسونية منذ نشأتها تحركت بدافع إيجاد ذلك المرتكز للمساعدة على إقامة الكيان الصهيونى ، وأنها منذ نشأتها في العراق تحركت بدافع من يهود يقودون محافلها في لندن وباريس ، لتأسيس مدارس يهودية في العراق ، وكانت أولى هذه المدارس في العهد العثمانى وهى مدارس تلمود وتوراه " ذات الطابع الدينى في بادئ الأمر ، ثم تتابعت عملية تأسيس المدارس في بغداد وغيرها من المدن العراقية . (١٤)

ثانيا : يهود سوريا

تذكر المراجع العربية بأن الطائفة اليهودية في (دمشق) هى من أقدم الطوائف اليهودية في العالم ، وهذه قضية خلافية بين المؤرخين ، حيث يذكر المؤرخ اليهودى داود سيطون : أنه منذ أكثر من ثلاثة الآف عام وبصورة مستمرة تنامى وجود «اليشوف» اليهودى في دمشق ، كما ظلت دمشق مرتبطة بتاريخ «الشعب اليهودى» على مدار الأجيال المتعاقبة منذ أيام إبراهيم عليه السلام وحتى الملك داود عليه السلام الذى احتلها من أيدى « إرم» وبعد موت داود احتلت دمشق من أيدى الإسرائيليين ، لكن « يربعام بن يوآش أعادها مرة ثانية ».

ويستدل (سيطون) على صحة قوله السابق بأنه أكتشف في أحد المعابد اليهودية عديدا من الكتب التى يرجع تاريخها إلى حوالى ١٠٠٠ عام ، وأنه في قرية «جوبر» القريبة من دمشق يوجد معبد قديم يقال أنه قد بنى منذ أيام «اليشع النبى» تلميذ «الياهو النبى» وعلى يمين المعبد مغارة صغيرة ترتبط بأحد أنبياء بنى إسرائيل إذ اختفى فيها النبى « الياهو » طبقا للتقاليد التوراتية عندما قال له الرب « إذهب راجعا في طريقك إلى برية دمشق » ملوك أول ١٩-٢٥ ، وأن هذا المعبد الموجود في جوبر كان مقدسا لدى جميع اليهود يأتون إليه من كل مكان .

ويقول المؤرخ بيتون «أن اليهود في سوريا منذ القدم ، وأنه في القرن الأول الميلادى وجدت في دمشق طائفة يهودية كبيرة تقدر بعشرة الآف نسمة » .

الأوضاع الاجتماعية ليهود سوريا

لقد نعم يهود سوريا بالحياة داخل إطار المجتمع الإسلامى وذلك منذ الفتح العربى لسوريا ، فقد سمح لهم بالحفاظ على ممتلكاتهم وعقائدهم وإدارة شئونهم الداخلية ، كما تمتع يهود سوريا برعاية الدولة في ظل العهد العثمانى ، حيث طبق عليهم «نظام الملة» خاصة وأنه لم يكن لديهم في البداية أى نفوذ أو مطمح سياسى ، وقد زاد عدد الطائفة اليهودية المحلية - والتى يمكن تسميتها بالمستعربة - بهجرة بعض اليهود من

أسبانيا وصقلية بعد طردهم من هناك في مطلع القرن السادس عشر .

ومع مجئ هؤلاء اليهود المهاجرين تحسن وضع يهود سوريا المادى والروحى لأن هؤلاء المهاجرين جلبوا معهم ثقافة وحرف البلاد التى جاءوا منها ، وقد تأثر بذلك اليهود السوريين ، وبمرور الأيام ذاب هؤلاء المهاجرون في إطار الثقافة السورية عموما وفى يهود سوريا - على وجه الخصوص - حيث اكتسبوا لغتهم وعاداتهم وأنماط حياتهم ، وأصبحوا لا يختلفون عن سكان سوريا سواء أكانوا مسلمين أم نصارى .

وحتى اليهود الاشكناز الذين وصلوا سوريا من شرق أوروبا ذابوا ايضا داخل الطوائف المحلية الأخرى ، وأخذوا عنهم كل شئ حتى أنهم كانوا يصلون طبقا لتقاليد الصلاة السفاردية (الشرقية) كما تحدثوا مثل سائر اليهود الموجودين في سوريا باللغة العربية.

وقد عاش اليهود في سوريا في أحياء خاصة بهم ، وكان الجيتو اليهودى في دمشق يسمى «حارة اليهود» وعاش فيه أغنياؤهم وفقراؤهم على حد سواء أما شوارع الجيتو في مدن سوريا فكانت أنظف من شوارع المسلمين ، وإن كان يبدو مهملا من حيث الشكل ، فقد أقام اليهود بداخله قصورا متعددة الحجرات رصعت مبانيها بالمرمر ، وكانت ساحاتها واسعة ومجهزة .

ويعتبر القرن الـ١٨ هو الفترة المثمرة في حياة اليهود في دمشق فقد قام بين هؤلاء اليهود رجال عظماء احتلوا مراكز رئيسية في إدارة شئون الدولة مثل عائلة (فرحى) وعائلة (انجيل) وفى بداية القرن ١٩ كان أحد أبناء عائلة فرحى وهو (البرى روفائيل بن فرحى) وزيرا للمالية في دمشق ، أما أخوه الربى حاييم فقد كان وزيرا للمالية في عكا ، وخلاصة القول أن الأمور المالية لمعظم مدن سوريا والشام في تلك الأيام كانت متمركزة في أيدى عائلة يهودية واحدة (فرحى) (١٥) .

الأوضاع الدينية والتربوية :

عاش اليهود في سوريا يزاولون حياتهم الدينية في حرية تامة ، ولم تكن هناك أية مخاطر تواجههم بإعتبارهم أقلية دينية ، ولم يعانوا من أية محاولات لتغيير دينهم سواء بالقوة أو بالاقناع ، ورغم دراستهم عشرات السنوات في مدارس مسيحية فلم يحدث بينهم حالات تذكر لاعتناق المسيحية ، ومع قرب سوريا من أوروبا فقد حافظ يهود سوريا على دينهم ، وقدر يهود سوريا حكماءهم وربانيهم ولو أن هذا التقدير لم يسفر عن إقامة أية مؤسسات جماهيرية وتعليمية للأجيال الجديدة ، إذ لم يحاول الأثرياء منهم مد يد العون لإقامة مثل هذه المؤسسات لإنقاذ هذه الأجيال من التخلف.(١٦)

وبمرور الزمن أقام اليهود - بعد أن استشعروا خطورة هذا الوضع التربوى والدينى المتردى - بعض المدارس الدينية الإبتدائية التقليدية في أماكن تجمعاتهم في سوريا ، على شاكلة مدارسهم ومعابدهم ايضا التى كانت قائمة أنذاك في العراق ، استمرت حتى نهاية عهد الانتداب الفرنسى ، لكن بعد الاستقلال أغلقت تلك المدارس ، بما فيها «مدارس الاليانس» ثم أعيد افتتاحها تحت اسم المدارس الوطنية للاتحاد الإسرائيلى العالمى ، وقد بلغ عدد المدارس اليهودية في سوريا بعد عامى ١٩٤٨/٤٧ - ١٩٥٠ /١٩٥١م ثلاث مدارس بلغ عدد تلاميذها (٥٧٧) تلميذا ، وبلغ عدد تلاميذها للعام الدراسى ١٩٥١/١٩٥٢ (٥٨٣) تلميذا ، وفى العام الدراسى ٥٢-١٩٥٣م أصبح هنالك ثلاث مدارس للذكور ومدرسة مختلطة عدد تلاميذها (٩١١) تلميذا . ومدرسة ثانوية فيها (١٧) تلميذا .

وبقيت أحوال اليهود التربوية على حالها لعدة عقود من الزمان أما صورتها الراهنة فأوضحها د. نسيم حاصبانى بقوله : حرية التعليم لنا متاحة على كامل المستويات ، وقد كان لى شرف أن أكون أول طالب طب في جامعة دمشق عام ١٩٥٨ ، وكنت في ذلك الوقت متمتعا بكامل حريتى التعليمية ، وكامل الفرص لأى طالب طب ، والآن أنا عضو في نقابة الأطباء بدمشق ولدينا مدرستان يقدر عدد طلابهما بـ (١٠٠) طالب في المرحلة الإعدادية ، ثم ينتقلون إلى المدارس العامة والثانوية الحكومية والخاصة لينالوا

الشهادة الثانوية ، ثم إن الجامعات مفتوحة لنا كأى مواطن سورى . ، ومؤخرا تم دمج مدرسة « ابن ميمون» والاتحاد الأهلية في دمشق في مدرسة واحدة تضم (٢٠٠) تلميذ يهودى .

وقد اعتبرت الدولة العثمانية شئون التعليم من جملة الأمور المرتبطة بالأديان والمذاهب، فخولت للطوائف اليهودية حق تأسيس المدارس وإدارتها وقام اليهود بإنشاء معاهد دينية خاصة بهم ، وكانت معاهدهم في بادئ الأمر من نوع المدارس الدينية التقليدية التى تقترب من نظام)الحيدر) (المماثل لدار تحفيظ القرآن في الثقافة الإسلامية) ويقول إبراهيم المالح الذى زار دمشق عام ١٩١١م : «كان وضع الحيدر» سيئا للغاية ، تعلم به حوالى ٥٠٠ طالب وهو ربع عدد الطلبة الموجودين بالمدينة، والمبانى مظلمة ورطبة ويجلس التلاميذ على الحصير أمام مدرسهم العجوز البائس.

أما الاتجاه نحو الثقافة الغربية الذى بدأ يتجلى في سورية في نهاية القرن ١٩ فقد أصاب اليهود أيضا ، وتمكنت مدرستا الاليانس في حلب ودمشق من أن تجلب إلى اليهود الثقافة الأوروبية في غلاف فرنسى يهودى، ومع أن لغة التعليم فيها هى اللغة الفرنسية كما في كل مدارس الاليانس ، فلم تهمل اللغة العربية وكثير من طلاب الاليانس تفوقوا في اللغة العربية ، وأدابها وشغل عدد من خريجيها مراكز بارزة في الطائفة اليهودية .

أما معابد وكنس اليهود في سوريا والموزعة على كل من : دمشق وحلب والقامشلى فتفيد المعطيات الحديثة إلى أن هنالك (٢٢) معبدا أو كنيسا يهوديا في دمشق ، و (٣) معابد في حلب ومعبد واحد في القامشلى ، وفى السياق ذاته أشار مؤخرا يوسف جاجاتى إلى أنه من أصل (٢٢) كنيسا موجودة في دمشق هنالك (٤) كنس مفتوحة فقط ، بينما أغلق كنيسين في مدينة حلب نظرا لسفر أبناء الطائفة اليهودية فيها ومازال كنيس القامشلى مفتوحا يمارس فيه (١٠٠) يهودى طقوسهم الدينية (١٧)

وإذا رجعنا إلى أقوال الرحالة الذين زاروا سوريا منذ منتصف القرن التاسع عشر نجد الرحالة اليهودى يحيئيل قسطمن الذى زار في عام ١٨٥٩م كلا من دمشق وحلب

، ذكر أنه وجد في حلب عدة مستوطنات لسكنى اليهود ، في حين أنه وجد في دمشق (يشيفا) (مدرسة دينية يهودية) واحدة ، ويذكر الرحالة وولف شور الذى زار سوريا عام ١٨٧٥م أنه وجد مستوطنة يهودية كبيرة في مدينة حلب معظم سكانها من دارسى ومحبى التوراة والتلمود .

كما ذكر الرحالة اليهودى أفرايم نيمرق الذى زار سوريا عام ١٨٨٤م أنه كان في حلب عديد من (اليشيفوت) (المدارس الدينية اليهودية) ، وأنها كانت أحسن من مثيلاتها في بغداد وأن بعض الأغنياء كانوا يدعمونها ، كما كانوا يشغلون بالتوراة والتلمود ودراسات (القبالة اليهودية) (التصوف اليهودى) في حين أنه وجد في دمشق (يشيفا) واحدة بها عدد من الحكماء الذين يعملون بها ساعتين كل يوم ، وقبل الحرب العالمية الأول أسس اليهود في دمشق (يشيفا) اطلقوا عليها اسم (بداية الحكمة) لتعليم التلمود واللغات الأجنبية وظلت هذه (اليشيفا) قائمة حتى اندلاع الحرب ، وسواء في هذه (اليشيفوت) أو في المدارس الدينية اليهودية الأخرى في دمشق أو حلب فقط حظى يهود سوريا بأوضاع دينية وتربوية وتعليمية متميزة حتى هجرتهم إلى فلسطين وارتباطهم بالكيان الصهيونى هناك (١٨) .

الأحوال الاقتصادية ليهود سوريا

أدى انفصال سوريا عن الامبراطورية البيزنطية إلى إضعاف تجارتها البحرية إلى حد بعيد لكنها استعاضت عن ذلك بفتح أسواق جديدة اتيحت لها بدخولها فارس وآسيا الوسطى ، أما بالنسبة لوضع اليهود الاقتصادى فقد عمل اليهود في سوريا بالتجارة والحرف معا ، فقد زاولوا أعمالا عديدة منها : سك العملة ، أعمال الذهب والفضة ، أعمال النجارة ، النسيج ، صناعة وغزل الحرير حيث كان لأصحاب هذه الصناعة منزلة خاصة في دمشق ، أما أصحاب المصانع فكان معظمهم مسلمين أو نصارى إلا أن العمال كانوا جميعا من اليهود ، كما عمل بهذه الحرف النساء ايضا .

وقد عمل اليهود كذلك بالأعمال النحاسية كالصوانى والشمعدان بالإضافة إلى

الأعمال الفنية التى كانوا يزينون بها منازل الطبقة الثرية والمتوسطة وكانوا يزينون الأوانى بأيات من القرآن الكريم للمسلمين ، وعبارات من التوراة لليهود وقد أثرى منهم من كان يعمل بصناعة النسيج .

أما دمشق فقد كان لها نصيب الأسد من هذه الأعمال ، وقد قدر عدد سكان دمشق في القرن ١٩ بـ ٤٥٠ ألف على النحو التالى : ٤٠٠ ألف مسلم ، ٣٠ ألف مسيحى ، ٢٠ ألف يهودى وقد تأثر يهود سوريا بالظروف العامة للمجتمع السورى ففى النصف الثانى من القرن ١٩ وحتى الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م ، اتسم الوضع العام في سوريا بالأزمة الاقتصادية ، وتأثر اليهود المقيمون بها وخاصة في دمشق لكونها طريق التجارة من بلاد الشرق الأدنى وطريق العبور لقوافل الحجاج إلى مكة والمدينة (١٩) .

وبعد ذلك استقر نفوذ اليهود الاقتصادى في المجال التجارى سواء في دمشق أو حلب ، كما تميزوا في مجال مهنتى الطب والمحاماة ، وانتاج الألبسة ومن أبرز رموز الطائفة اليهودية في سوريا : المحامى شحاده القطرى ، ويوسف جاجاتى المشرف الحالى على شئون اليهود ، صاحب « المخزن الكبير» ويعقوب إبراهيم البقاعى (تاجر شرقيات) ، والأخوان ديب وسامى اللاطى .

ويذكر أن بعض اليهود السوريين وجدوا أن المتغيرات الاقتصادية الحادثة في سوريا بعد إصدار الحكومة السورية لقانون الاستثمار رقم (١٠) مجالا لتنشيط أوضاعهم الاقتصادية ، وتوسيع مجال نفوذهم الاقتصادى لذلك يذكر الحاخام إبراهيم أبو حمرا - رئيس الطائفة اليهودية (السابق) - أن بعض اليهود دخلوا مجال الاستثمار مثل : جاك بقيص ويوسف جاجاتى وفرح حمرة (٢٠) .

الدور السياسى ليهود سوريا

تشير المصادر التاريخية الحديثة إلى أن يهود سوريا قاوموا الإنتداب ودعموا المطالب القومية العربية ، وكان لليهود منذ أول برلمان سورى ايلول (١٩٣٦) ممثل وحيد ، في

جميع المجالس النيابية حسب المادة (٣٧) من الدستور السورى لعام (١٩٣٠) ومن النواب اليهود الذين دخلوا مجلس النواب السورى نذكر : سوف لنيادو ، ووحيد مزراحى (عن دمشق) ، وعزرا أزرق ورحمو نحماد (عن حلب) .

كما وتشير المصادر ذاتها إلى أنه ظهرت بوادر حركة صهيونية بين يهود دمشق خلال الحرب العالمية الأولى ، كما أن الدعاية الصهيونية للهجرة قد جلبت أفواجا من يهود سوريا إلى فلسطين ، إلا أنهم على الأغلب لم يكونوا صهيونيين ، كما لهم يهتموا بالأمانى الصهيونية السياسية ، لكن في إذار (١٩٤٥) قامت تظاهرات في دمشق وحلب شارك فيها اليهود تضامنا مع الفلسطينيين ، وأرسل حاخام الجزيرة موشى ناحوم برقية إلى الرئيس محتجا على فتح أبواب فلسطين أمام الهجرة الصهيونية ، وكذب رئيس الطائفة في دمشق ما نشرته إحدى وكالات الأنباء الصهيونية عن اضطهاد اليهود السوريين .

وإزاء تطورات القضية الفلسطينية أبدى يهود سوريا مواقف معارضة للحركة الصهيونية ونشاطاتها في فلسطين فإزاء قرار تقسيم فلسطين قال وحيد مزراحى نائب دمشق في ١٩٤٧/١٢/١ في مجلس النواب السورى « أن اليهود يستنكرون هذا القرار الجائر ويستنكرون أعمال الصهيونية ويعتبرون الصهيونية عقيدة سياسية غربية منفصلة عن الدين لا تتفق مع عادات ولغة وأخلاق يهود البلاد العربية فإذا كانت الصهيونية التى تأتينا من الغرب تريد أن تجعلنا ضمن حظيرتها فأنا أعلن من هنا أننا بريئون منها ومن أعمالها وأرجو أن يعلم الجميع أننا لا نشاطر الصهيونية عملها وأننا لا نتفق وإياها بغاياتها وأساليبها وسنكون في مقدمة المجاهدين العاملين لدفع أذى الصهيونية عن هذه البلاد » . وفيما بعد ذلك بسنوات قليلة أكد الحاخام «صبرى لينادو » مواقف اليهود في سوريا من الصهيونية والكيان الصهيونى الذى أعلن عن قيامه عام ١٩٤٨ وعبر عن استنكار زعماء الطائفة اليهودية السورية فكرة «الوطن القومى اليهودى» وكذلك الدولة اليهودية .

وعموما لم تظهر الطائفة اليهودية في سورية أى تعاطف معلن أو مبطن مع الأفكار الصهيونية والدعاوى التى بثتها وسائل الإعلام الصهيونية خلال العقود اللاحقة من

الزمن ، التى سادتها حالة احتدام الصراع العربى - الصهيونى ونشوب عدد من الحروب .

ونعيد إلى الأذهان بعض الأرقام حول أعداد يهود سوريا وما طرأ عليها من متغيرات منذ قرن ونيف من الزمن ، فقد بلغ يهود دمشق مثلا عام (١٨٧٦) (٥٤٠٠) يهوديا من أصل (١٤٠) ألفا عدد سكان دمشق انذاك . أما عدد يهود حلب في العام ذاته فبلغ (٨٠٠٠) يهودى من أصل (١٠٠) ألف عدد سكان حلب ، وقبل الهجرة اليهودية الكبرى من سوريا كان عدد اليهود في سوريا في العقد الأول من القرن العشرين (٥٠.٠٠٠) يهودى تناقص إلى (٢٩.٧٧٠) يهودى عام (١٩٤٣) من أصل (٢.٨٦٠.٤١١) عدد سكان سورية في ذلك العام واستمر عددهم في التناقص ووصل إلى (١٣.٠٠٠) يهودى عام (١٩٤٧) .

وفى عقدى السبعينات والثمانينات من القرن العشرين لم تحدث متغيرات على أعداد و أحوال يهود سوريا فيما عدا بعض الضغوطات التى مارستها بعض الجهات الغربية واللجان اليهودية الغربية على الحكومة السورية متذرعة بالأحوال الاجتماعية والانسانية ليهود سورية ، من شاكلة اللجنة الدولية لانقاذ يهود البلاد العربية التى ترأسها « الن بوهير» رئيس مجلس الشيوخ الفرنسى ففى عام (١٩٧٧) تمحور عمل تلك الجهات حول الطلب من الرئيس السوري حافظ الأسد بالسماح بنقل (١٣) فتاة يهودية من سورية إلى الولايات المتحدة الأمريكية من أجل الزواج وقد سمح لـ (١٤) فتاة يهودية بالسفر إلى الولايات المتحدة المريكية في عهد الرئيس الأمريكى (جيمى كارتر) عادت منهن (٦) فتيات إلى سورية .

أما في السنوات الأولى من عقد التسعينات من القرن العشرين في أعقاب المتغيرات الإقليمية والعالمية وخصوصا ما يتعلق منها بالصراع العربى - الصهيونى مثل انعقاد مؤتمر مدريد (١٩٩١) فقد حدثت بعض المتغيرات على أوضاع يهود سوريا فقد أصدرت الحكومة السورية ١٩٩٢/٤/٢٢ قرارا يقضى بالسماح لليهود بالسفر إلى الخارج عدا الكيان الصهيونى ، وفى أعقاب ذلك القرار غادر سوريا (٢٦٠٠) يهودى توجهوا إلى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ، عاد منهم إلى سوريا فيما بعد (١٦٠)

يهوديا ، ونشير إلى عدد الجالية اليهودية السورية في الولايات المتحدة الأمريكية والمتركزة في منطقة فلاتبوش في حي بروكلين يبلغ (٣٥) ألف يهوديا . وفي هذا السياق ايضا أشار إبراهيم أبو حمرا ، الرئيس السابق للطائفة اليهودية في سوريا إلى أنه منذ شهر نيسان (١٩٩٢) وحتى الشهر ذاته من العام (١٩٩٣) غادر سوريا (٢٥٠٠) يهودي توجهوا إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وعاد منهم (١٠٠) مائة يهودي . وأشار أيضا إلى أن اليهود المتبقين في سوريا لا يتجاوز عددهم (١٤٥٠) يهوديا .

وتكثفت في السنوات القليلة الماضية الحملات الغربية وخاصة اليهودية الأمريكية لتهجير يهود سوريا تحت إدعاءات مختلفة كالإدعاء أن منشورات وزعت في أوائل شهر إذار (١٩٩٤) في حي اليهود في دمشق موقعة باسم « الجيش الإبراهيمي المقدس - حزب العدالة الإسلامي السوري» تدعو للانتقام لشهداء المجزرة التي ارتكبت بحق الفلسطينيين في الحرم الإبراهيمي الشريف في مدينة الخليل في شهر شباط من العام ذاته . وقادت تلك الحملات المغرضة والموظفة سياسيا منظمتا « مجلس انقاذ يهود سورية » و « مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الأمريكية » اللتان تتخذان من واشنطن مقرا لهما (٢١) .

ثالثا : اليهود في الجزيرة العربية

يذكر بعض الباحثين أن اليهودية دخلت جزيرة العرب نتيجة لهجرة يهودية من فلسطين في الفترة الواقعة بين خراب الهيكل في عام ٧٠م وإخراج هدريانوس لليهود من فلسطين عام ١٣٢م ويقول البعض الآخر أن اليهود هاجروا إلى الجزيرة العربية منذ عهد النبى موسى عليه السلام أى منذ القرن الثالث عشر ق.م. تقريبا ، إذ يروى أهل الأخبار أن النبى موسى عليه السلام أرسل جيشا إلى الحجاز لمقابلة العماليق فاستقر ذلك الجيش في يثرب بعد هزيمته للعماليق ، ومما ورد ايضا أن داود عليه السلام هاجر مع سبط يهوذا إلى خيبر وتملك هناك ثم عاد إلى فلسطين (٢٢) .

والأغرب من ذلك كله أن نرى بعض الباحثين يقول أن الجزيرة العربية هى موطن اليهود الأصلى فالمستر برنز مؤلف كتاب « المدينة الغربية » يقول ما نصه : « إن أكثر الباحثين يتفقون على أن الجزيرة العربية هى موطن اليهود الأصلى » ومثل ذلك يقول ولفنسون (وهو يهودى صهيونى) في كتابه (تاريخ اللغات السامية) (ص٥) إن الهجرة الإسرائيلية صدرت من الجزيرة العربية وفتحت بلاد فلسطين ، وكان هذا الفتح سببا لتقلبات اجتماعية ودينية كبيرة الأثر في التاريخ العام وما هذه الأقوال وامثالها الا قصصا روجها اليهود بين عرب الجزيرة لإثبات وشائج القربى بين العرب واليهود وترغيب أهل الجزيرة العربية في الأخذ باليهودية .

وقد عاش اليهود في جزيرة العرب معيشة أهلها فلبسوا لباسهم وتكلموا لغتهم وتصاهروا معهم ، فتزوج اليهود عربيات ، وتزوج العرب يهوديات ، واسترضع العرب في القبائل العربية المتهودة ، والفرق الوحيد الذى كان يفرق بين العرب واليهود في الجزيرة هو الاختلاف في الدين ، وقد تمتع العرب اليهود بحرية واسعة لم يحصلوا عليها في أى بلد آخر (٢٣) .

وذلك كله يؤيد كون اليهود في الجزيرة العربية عربا متهودين لا يهود مهاجرين ، اعتنقوا اليهودية عن طريق التبشير الذى كان سائدا بين أحبار اليهود في ذلك التاريخ - لأن العصبية العربية تقيم حاجزا يحول بين زواج اليهود أو أى عنصر غير عربى

بالعربيات كما هو معروف ، وفى ذلك يقول الدكتور / جواد على (تاريخ العرب قبل الاسلام) (٦:٢١) :

" ولعل كون اليهود في الجزيرة من أصل عربى هو الذى ساعد على تحطيم القيود التى تحول بين زواج اليهود بالعربيات وبالعكس (٢٤) .

ومما تجدر ملاحظته في هذا الصدد أن اليهودية التىاعتنقها عرب الجزيرة كانت أشبه بحزب قبلى منها كدين له أصوله وأبعاده كدين يهود فلسطين ، إذا كان مجرد اعتناق أحد رؤساء القبائل أو البطون أو الأفخاد يؤدى تلقائيا إلى تهود اتباع ذلك الرئيس أو الزعيم ، فقد كانت هذه القبائل المتهودة تعقد الأحلاف مع بقية القبائل العربية على الطريقة المتبعة منذ القديم بين القبائل العربية في الجزيرة ، محافظة على نفس عاداتها وتقاليدها واعرافها وثقافتها وقوميتها العربية ، ولم يعرف هؤلاء العرب المتهودين من اليهودية غير عقيدة التوحيد ، وبعض عبارات عبرية يحفظونها عن ظهر قلب ويرونها دون أن يفهموا معناها عند الصلاة ، ولم يكن لهم أية صلة تربطهم بيهود فلسطين غير الاتصال التجارى ، وزيارة بعض أحبار اليهود لفلسطين .

وتدل المدونات التاريخية المتوافرة أن اليهودية كانت في العصر الجاهلى منتشرة بين القبائل العربية بوجه عام ويفهم من روايات الأخباريين أن يهود الحجاز وبخاصة يهود مدينة يثرب كانوا قبائل وعشائر وبطونا منهم : بنوا النضير ، وبنو قريظة ، وبنو قينقاع ، وبنو عكرمة ، وبنو محمر ، وبنو زعوزا ، وبنو زيد ، وبنو جشم ، وكان يسكن مع يهود يثرب من غير اليهود بطون من العرب منهم : بنو الحرمان حى من اليمن ، وبنو معاوية حى من بنى سليم وبنوا الشطية حى من غسان .

وظل اليهود أصحاب يثرب حتى جاء الأوس والخزرج فنزلوها ، وورد في الأخبار أنهم جاءوا التماسا لوطن صالح جديد ، وانهم حين نزلوها لم يكن لهم حول ولا قوة ، واستغلوا الخلافات بين اليهود وتغلبوا عليهم وسيطروا على المدينة وقسموها فيما بينهم ، فلم يبق يومئذ لليهود عليها من سلطان (٢٥) .

ولم يرد عن يهود جزيرة العرب شئ في أخبار المؤلفين اليهود ، وهذا إن دل على شئ

إنما يدل على إنعدام الصلة القومية بينهم وبين يهود فلسطين ، وفى ذلك يقول إسرائيل ولفنسون في كتابه (تاريخ اليهود في بلاد العرب) (ص١١-١٢) أن ثمة مراجع عبرية غير قليلة عن حياة اليهود في بلاد العراق والفرس ومصر واليونان والرومان ، اما يهود الجزيرة العربية فلا تكاد تجد مؤلفات عبرية عنهم إلا شيئا ضئيلا جدا لا يتجاوز بضعة نصوص أندمجت في بعض الكتب اندماجا عرضيا غير مقصود ... وإن سكوت المراجع الإسرائيلية عن سرد حوادث اليهود في الجزيرة العربية يدل دلالة قاطعة على أن اليهود في بلاد العرب كانوا منقطعين تمام الانقطاع عن بقية اليهود في خارج الجزيرة (٢٦) .

ويلاحظ أن يهود الجاهلية لم يحافظوا على هويتهم كما حافظوا عليها في الاقطار الأخرى ، فأكثر أسماء القبائل والبطون والأشخاص هى أسماء عربية ، والشعر المنسوب إلى شعراء منهم يحمل الطابع العربى ، وفى حياتهم الاجتماعية والسياسية، لم يكونوا يختلفون عن العرب ، والشعر المنسوب لليهود يصعب أن نجد فيه أثر التوراة أو التلمود وهو الأمر الذى يؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن يهود الجزيرة كانوا عربا متهودين (٢٧) .

ويحفل تاريخ الدعوة الإسلامية بالعديد من أخبار خيانة اليهود في (يثرب) المدينة للرسول محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) وللمواثيق والعهود التي كانوا ينقضونها. وكذلك كان موقف القبائل اليهودية الأخرى بالجزيرة العربية.

أحوال اليهود الاقتصادية والاجتماعية في الجزيرة العربية

اعتمد اليهود طريقة التحالفات فكان لكل زعيم يهودى حليف من الأعراب يأمنون به شر الغزوات ، ويدفعون أتاوات إلى رؤوس القبائل لتأمين تلك الحماية والدفاع عنهم وقت الملمات .

أهتم اليهود بصيد السمك وتربية الماشية وعملت نساؤهم بصناعة النسيج شأنهم

شأن التجمعات البدوية ، لهذا جاءت معيشتهم طبيعية وموافقة لحياة البداوة في الجزيرة العربية .

وكذلك عمل اليهود بالتجارة المميزة فهم حملوا بعض أنواع الحبوب من بلاد الشام إلى مناطق الجزيرة وكانت الأعراب تستدين منهم مقابل رهن لمتاع عندهم يستردونه بعد إبقاء الدين حتى أن النبى (صلى الله عليه وسلم) رهن له درعا عند يهودى .

عملية الربا كانت معروفة جدا عند يهود الجزيرة العربية مع بعض الأعراب أيضا الذين كانوا أقل عملا بهذه من اليهود ، فلقد جنى اليهود من هذه العمليات أرباحا طائلة وغير مشروعة ، وقد لمح القرآن الكريم إلى ذلك منددا بفعلتهم هذه ، وحرم الإسلام عملية الربا ، فكانت قاصمة لظهر اليهود في اقتصادهم غير المشروع .

ومن البديهى أن تمنع البطون اليهودية في الجزيرة العربية انواع اللحوم التى حرمتها التوراة كالخنزير والغراب والنطيحة والمتردية والمنخنقة وهنا نشير إلى أن الإسلام حرم هذه اللحوم ايضا ، سوى أكل لحوم الإبل التى أخذت شكلا ومنحى وجدالاً بين الرسول (صلى الله عليه وسلم) واليهود ، فاليهودية لا تسمح باكله ، بينما أحله الإسلام .

وعاشوراء كانت يوم صوم عند اليهود ، فلما هاجر النبى محمد (صلى الله عليه وسلم) إلى يثرب سألهم عن هذا اليوم ، فقالوا فيه إنه يوم صالح ، هذا يوم نجى الله بنى إسرائيل من عدوهم فصامه موسى ، فقال الرسول (صلى الله عليه وسلم) أنا أحق بموسى منكم فصامه ، وكانت اليهود تعده عيدا .

ومارست أمور السحر والاتقاء منه والتعاويذ وقد عرفت هذه الطرق عند يهود يثرب ، استعملوا فيها العقد المطمورة بلغة عبرانية كونها لغة دينهم ولهجة اروم.

ونحن نعلم بقصص السحر الموجودة عند اليهود منذ زمن موسى عليه السلام وقصته مع السحرة في مصر ، وقد أشار إليها القرآن الكريم في أكثر من موقع (٢٨) .

رابعا : يهود اليمن

يكتنف البحث في أصول يهود اليمن صعوبات جمة نتيجة نقص المادة الأثرية التاريخية التى ترجع إلى الفترة التى ينسب إليها انتشار اليهودية في اليمن ، إلا أن هناك نصا عرف (بنص جلازر) دونه شرحبيل يعفر بن أب كرب ، من القرن الخ مس الميلادى، عند إصلاح سد مأرب بعد تصدع أصابه ، وقد جاءت فيه جملة « رب السماء والأرض» وقد استدل البعض من هذه الجملة على أنها تشير إلى التوحيد الخالص ، وهو عقيدة يهود ، هذا إلى جانب نص آخر من نفس العهد ، جاءت فيه ايضا جملة (الإله الذى له السموات والأرض)

وهناك رواية أخرى تذهب إلى أن اليهودية إنما قد انتشرت في اليمن منذ أيام «ذى نواس» سواء أكان ذلك يمثل روحا قومية أم لأن أمه يهوديه من نصيبين ، ومن ثم فهو قد تربى تربية يهودية محضة ، وأنها كانت في عقليته وميوله منذ نعومة أظفاره .

وربما ساعد على انتشار اليهودية وقتذاك أن ملوك حمير لم يخشوا على أنفسهم من اعتناق اليهودية ، أن تتسلط عليهم دولة ذات سلطان كبير ونفوذ واسع ، إذ لم يكن لليهودية في ذلك الوقت دولة سياسية في حين أن النصرانية كانت تعتمد على الدولة الرومانية الشرقية الطامعة في فتح بلادهم ، وليس هناك من دليل تاريخى يؤكد هذا الفرض ، رغم أنه من الصعب نفى وجود اليهودية في اليمن أيام (ذى نواس) .

وينكر معظم المؤرخين وصول اليهودية إلى اليمن بعد السبى البابلى (٥٨٦ ق.م) رغم إشارة أحبار اليهود إلى ذلك ، غير أن هناك رأى يذهب إلى أنها قد انتشرت منذ أخريات القرن الأول ، وأثناء القرن الثانى للميلاد ، ربما اعتمادا على أن الفرقة اليهودية التى صاحبت «اليوسى جاليوس» في حملته على اليمن عام ٢٤ق.م. ربما قد فضلت البقاء في اليمن ، ولم تعد إلى فلسطين ، وربما اعتمادا على رحلة الحبر اليهودى (ربى عقيبه) إلى اليمن عام ١٣٠م ، وربما اعتمادا على العثور على مقبرة لأحد كبار أحبار اليمن ويدعى (مناحم) في (بيت شعاريم) جنوب شرق حيفا بفلسطين والتى ترجع لعام ٢٠٠ م (٢٩) .

ورغم أن يهود اليمن يدعون نسبتهم إلى أصول هؤلاء الذين رافقوا ملكة سبأ عند عودتها من زيارة الملك سليمان ، إلا أن الثابت تاريخيا وجود طوائف يهودية كبيرة في اليمن منذ القرن الثالث الميلادى ، حيث كانت أحوال اليمن مزدهرة ولليهود نفوذ كبير فيها ، وقد قدر عدة اليهود في اليمن خلال القرون الستة الأولى للميلاد بثلاثة الآف نسمة (٣٠) .

أوضاع يهود اليمن الاقتصادية والاجتماعية

انتشر اليهود في ربوع اليمن كغيرهم من المواطنين دون خصوصية معينة فمنهم من سكن القرية ومنهم من سكن الحى أو حارة من مدينة ، ففى صنعاء العاصمة التاريخية لليمن كان معظم اليهود يقطنون في (قاع اليهود) ضمن ساحة غرب العاصمة وتعرف اليوم بقاع العلفى ، وفى « حاشد» سكن اليهود في عدة مناطق خاصة في ناحية ظليمة ، وفى جانب من المداير ، وجانب من مدينة حبور ، كذلك سكنوا في مدينة أب في حارة (الجائة) شرق جنوب المدينة ، وفى (السيانى) سكن اليهود في قرية خاصة بهم أسمها (الجدس) ، وفى جبلة على بعد ٢٠ كيلو مترا من مدينة اب ، وسكن اليهود كذبك حارة المكعدد .

وفى قضاء النادرة سكنوا قرية مجاورة اسمها «مجزان» وكان يشاركهم فيها بعض المواطنين المسلمين ، وفى عدن كان معظمهم في حى كريتر وفى حضرموت كان يوجد في عام ١٩٢٢م في منطقة حبان وحدها ٧٠٠ يهودى .

وقد كان يهود اليمن يعيشون حياتهم الآمنة ويتابعون أنشطتهم في مختلف المجالات وكانت الجالية اليهودية في عدن عام ١٩٤٧ من أهم الجاليات نفوذا ، وذلك بسبب تغلغلهم في الحياة الاقتصادية ونشاطهم في مجال تهريب العملات الصعبة والذهب المصقول من وإلى الأرض المحتلة وغيرها ، وقد هاجر منهم العديد خصوصا بعد تشجيع الصهيونية وقيام مندوبوها ببعض الأعمال التخريبية في متاجر عدن التابعة لليهود ، وقد وجد في عدن كذلك فرع لصندوق الجباية اليهودية ، ونشط اليهود فيها

في مجال تجارة الخمور والصياغة وبيع المحرمات.

أما فيما يتعلق بالتنظيم الطائفى لليهود ، ففى فترات متعددة سمح لهم بإنتخاب ممثليهم وكانوا اثنين من المسئولين : أولهما يسمى (نسئ) ، وهو رجل من ذوى الثروة والعلم يمثل الطائفة لدى السلطات ، والثانى يسمى (موريه) يجمع بين مهام الحاخام والقاضى والمعلم وجامع الضرائب ، ويذكر أن الطائفة اليهودية تعتمد في دخلها على ضريبية الملح وتسمى (جابيلا) (٣١) .

وبذلت في كل من اليمن وعدن بضع محاولات لإقامة مدارس يهودية حديثة ، فتوجه في عام ١٨٧٥ الفريد فالك مندوب رابطة الإخوان اليهود بأوروبا إلى عدن ، وأجرى بها عدة مفاوضات مع قادة الطائفة اليهودية الذين رحبوا بإنشاء مدرسة يهودية حديثة ، ورحب اليهود بهذه الفكرة لأن نظامهم التقليدى لم يكن يتيح لهم الالتحاق بالمدارس الحكومية البريطانية ، خاصة وأن اليهود لم يكونوا على معرفة باللغة الهندوستانية المتبعة في هذه المدارس وافتتحت (رابطة الأخوان اليهود) الأوروبية في عام ١٩١٢ مدرسة يهودية حديثة في عدن (٣٢) .

لدى عرض أوضاع اليهود في دول الخليج العربى واليمن ، نجد أن هناك غيابا لتجمعات يهودية ذات أهمية في دول الخليج العربى ، لكن التجمع الأهم لليهود تمثل في تمركزهم في اليمن في كل الأوقات. والمؤثرات أو انعكاسات القضية الفلسطينية على أوضاع يهود اليمن بشكل خاص لم تشكل حاضنة داخلية لهجرة يهود البلاد ، بل أن الحاضنة اليهودية الخارجية والنشاط الصهيونى المنظم منذ اوائل القرن العشرين هو العامل الرئيسى في هجرة يهود اليمن نحو فلسطين ، فهم أول طائفة يهودية في البلاد العربية توجه بعض أفرادها وبنسبة ملحوظة نحو فلسطين منذ بداية هذا القرن (٣).

موقف يهود اليمن من الصهيونية

أما لجهة موقف اليهود في اليمن من الصهيونية ، فيذكر أن يهود عدن أعلنوا عام ١٩٤٧ اضرابا شاملا مع زعماء عدن وخرجوا بتظاهرات ضد الصهيونية وتأييد لعرب

فلسطين وخلالها تمت مهاجمة حى كريتر والشيخ عثمان ، وحسب تقرير بريطانى صدر آنذاك ، فقد قتل في تلك التظاهرات (٨٢ يهوديا وجرح (٧٦) كما قتل من العرب (٣٨) وجرح (٨٧) ، بينما يدعى تقرير يهودى أن تلك الحوادث كانت مدفوعة بعوامل اقتصادية لزعزعة النفوذ الذى تحتله الطائفة اليهودية هناك ، إذ أن عائلة (ماسا) اليهودية كانت تحتكر تجارة البن إلى الحد الذى دعى أفرادها « بملوك القهوة » في عدن .

وخلال العقد المنصرم من الزمن ، تمركز يهود اليمن في الشطر الشمالى من اليمن في مناطق صعدة ، عزاز ، الصحن ، دمانة والأملاح . وبلغ تعدادهم (٣) الآف يهودى ، عملوا في مهنة الصياغة بشكل أساسى ، وفى مهنة التجارة والبناء المعمارى والزراعة وكانوا يمارسون طقوسهم الدينية في كنيستين : أولهما موجودة في منطقة صعدة ، والثانية في منطقة الصحن .

وتفيد معطيات السنوات الأخيرة أن عدد اليهود المتواجدين في الشطر الشمالى يتراوح ما بين (٣٠٠) و (٤٠٠) يهودى - حسب مصادر يمنية - بينما تقدر مصادر أخرى عددهم بـ (٢٠٠٠) يهودى . وتفيد مصادر أخرى أن العدد الحقيقى ليهود اليمن هو (٩٠٠) يهودى . وهبط هذا الرقم إلى حوالى (٥٠٠ يهودى) حسب أقوال موسى خوبانى أحد زعماء يهود اليمن.

يهود وادى النيل

يـهـود مـصـر :

تعتبر العلاقة ما بين اليهود ومصر علاقة إشكالية تعود لعصور كبقية فى الزمان، ورغم أن اللقاء بين مصر وبنى إسرائيل بلغ ذروته فى شخص موسى، إلا أن موسى نفسه هو الذى أصبح بعد ذلك نقطة الانفصال النهائى بين مصر وإسرائيل بعد خروجه منها هرباً من حاكمها الفرعون، وهناك من يرى أن علاقة اليهود بمصر قديمة ترجع إلى فترة أبعد من عصر موسى، تعود إلى زمن وجود أولاد يعقوب فيها، ثم إلى بقاء بعضهم فى منطقة الفيوم بعد خروج موسى من مصر، لكن الثابت تاريخياً هو وجود طائفة يهودية فى مصر فى القرن السادس ق.م حيث طلب بعضهم ملجأ فى مدن الدلتا.

وأهم جماعة يهودية جاءت إلى مصر كانت بعد فتح الإسكندر لفلسطين عام ٣٢٢ ق.م فقد عاد اليهود ليستقروا فى مصر بعد أن دعا الإسكندر المقدونى إلى بناء الإسكندرية التى بنيت (عام ٣٣٢ ق.م) فجاء كثيرون من يهود الشرق الأدنى، وبفضل الظروف والفرص الحضارية والاقتصادية الجذابة انتشر اليهود فى عدة أصقاع ظللها الحكم اليونانى فى الشرق القديم.

ولكن يبدو أن تيار الحضارة اليونانية الجارف فرض على اليهود فى مصر وغير مصر الانصهار فى البوتقة اليونانية والذوبان الكلى فيها تقريباً، حتى أن السواد الأعظم منهم كان لا يعرف سوى اليونانية واستمرت هذه الحالة حتى الفتح الاسلامى لمصر (٤٣).

وقد جاء ذكر اليهود حين فتح العرب مصر فى معاهدة الإسكندرية أو فى صلح بابليون الثانى، وكان من شروط هذه المعاهدة أن يباح لليهود الإقامة فى الإسكندرية وكان اليهود يشتغلون بالتجارة فى الإسكندرية حتى دخول العرب مصر، ويفهم مما ذكرته المصادر القديمة أنه كان بالإسكندرية حوالى أربعين ألف يهودى، وقد ذكر هذا الرقم عمرو بن العاص حين أرسل إلى الخليفة عمر بن الخطاب يصف له مدينة

الإسكندرية، وفى ظل الدولة الإسلامية كان عصر الخلافة الفاطمية فى مصر وعصر سلاطين المماليك من أزهى عصور التسامح مع أهل الذمة عموماً.

وقد أرتفع أهل الذمة فى هذين العصريين إلى منصب الوزارة، وأصبحوا الكتاب الرئيسين لدى الخلفاء والسلاطين والأمراء.

ولم يكن اليهود فى إطار الدولة الإسلامية مواطنين من الدرجة الثانية، وإنما كانوا هم وإخوانهم المسلمين أخوة وأبناء وطن واحد وكانت سياسة التسامح الدينى هى الطابع العام لحكام مصر الإسلامية (٣٥).

أوضاع اليهود
فى المجتمع المصرى
فى العصر الحديث

شهدت الطائفة اليهودية فى مصر خلال القرن التاسع عشر ومنذ تولى محمد على حكم البلاد (١٨٠٥ - ١٨٤٨) تطوراً وازدهاراً : فقد تمتعت برعاية الحكومة كما شجع التسامح الدينى الذى اشتهر به محمد على واهتمامه ببناء مصر الحديثة على قدوم الأجانب إلى البلاد بأعداد كبيرة، فقد حاول محمد على تطبيق سياسة الاكتفاء الذاتى فى هذا الوقت على أساس تصنيع البلاد مما دفعه إلى الاستعانة بالأجانب لتسويق منتجاته فى أوروبا، وكان كثير من هؤلاء من اليهود، مما أدى إلى إتساع حجم الطائفة وزيادة عددها.

وقد سار خلفاء محمد على على السياسة نفسها، ففتحوا أبواب مصر على مصاريعها أمام الأجانب للمساهمة فى تحقيق التقدم فى البلاد والسير بها فى طريق الحضارة، ففى عام ١٨٥٨ سمح للأجانب بامتلاك الأرض وباستثمار رأس المال فى مصر، وفى عهد الخديو إسماعيل كان معظم المستثمرين من اليهود الأجانب، وبعد الاحتلال البريطانى فتحت البلاد باطراد أمام الأجانب، فكان من نتيجة ذلك أن كثر وفود اليهود على مصر حتى بلغ عددهم طبقاً لإحصاء عام ١٩٤٧ نحو ٦٥.٦٣٩ نسمة. وكان حوالى ثلاثين ألفا منهم يحملون جوازات سفر أجنبية (إيطالية أو فرنسية أو يونانية أو فارسية أو بريطانية)، ونحو خمسة آلاف حاصلين على الجنسية المصرية، أما الباقى فلا جنسية لهم.

وكان السبب فى حصول الكثيرين منهم على جنسية أجنبية هو فوائد نظام الامتيازات الذى لم يكن يكفل لهم فقط حماية القناصل الأجانب، بل كان يعفيهم أيضاً من الخضوع للمحاكم المصرية، ويمنحهم الحق فى عرض قضاياهم على المحاكم المختلطة، هذا بالإضافة إلى حقوق استثنائية أخرى.

ا - أوضاع اليهود الاجتماعية :

كفل النظام الملى الذى أنشئ فى العهد العثمانى المحافظة بعض الشئ على حياتهم ومركزهم الاجتماعى فقد جعل هذا النظام لكل طائفة مجلسها الملى المكلف بمعالجة الأمور ذات الصفة الشخصية كالزواج والطلاق والإرث وفقاً للتقاليد الدينية لكل طائفة.

وفى مصر كان اليهود ينقسمون إلى طائفتين : طائفة اليهود القرائين وكان عددهم محدوداً جداً، وطائفة اليهود الحاخاميين أو الربانيين - كما كان يطلق عليهم - وكانت تضم أغلبية اليهود فى مصر وتمتعت باعتراف السلطات الرسمية بها كطائفة.

وكان الربانيون ينقسمون بدورهم إلى طائفتين : طائفة فى مدينة القاهرة وطائفة فى مدينة الإسكندرية، وكان لكل واحدة منها حاخامها ومجلسها الملى المنتخب.

أما طائفة القاهرة الربانية فكانت تنقسم إلى طائفتين : طائفة اليهود السفارديم (أى اليهود الشرقيين الذين ينتمون فى أصلهم إلى حوض البحر المتوسط وأسبانيا) واليهود الأشكنازيم (وهم اليهود الغربيون الذين وفدوا على مصر من أوروبا) وكان لكل طائفة مجلسها الطائفى وحاخامها الخاص وأما طائفة الإسكندرية فكان لها مجلس عام للطائفة.

وقد تركز اليهود بصفة رئيسية فى مدينتى القاهرة والإسكندرية، فيما يسمى بحارة اليهود، وكان هذا الحى يشكل قطاعا من الأحياء الفقيرة، ويضم مئات المنازل والمحال التجارية والمصانع التى كانت كلها ملكا لهم، وبالرغم من ذلك بدأ أغنياء اليهود يهجرون هذا الجيتو ليعيشوا فى الأحياء الراقية غير اليهودية.

ويمكننا أن نقسم اليهود من الناحية الاجتماعية إلى ثلاث طبقات : الطبقة الأولى وتضم عددا من الأسر الغنية المعروفة بثرائها ومركزها فى المجتمع وعلاقاتها الشخصية بأهل البلاد من إقطاعيين وذوى نفوذ وسياسيين ومن هؤلاء أسر قطاوى وموصيرى ورولو وسوارس وهرارى ووهبه ومنشه وشيكوريل .. وغيرها.

وتحت هذه الدائرة المترفعة تأتى الطبقة الثانية حيث نجد عددا لا بأس به من رجال الأعمال الأغنياء فى تجارة القطن والصيرفة والبورصة والصحافة وتجارة التصدير والاستيراد وأصحاب المحال التجارية المتخصصة، وكانت لهاتين الطبقتين حياتهما الاجتماعية والثقافية المنفصلة عن أهل البلاد الأصليين، وكان معظمهم يستخدم الفرنسية لأنها كانت لغة الصالونات فى ذلك الوقت.

ولان الاتجاه العام كان نحو الثقافة الغربية وخاصة الفرنسية فقد أثر هذا الاتجاه على منهج حياتهم اليومية حيث طرأ تغيير كبير فى عاداتهم وملابسهم وأذواقهم.

وفى الطرف الأسفر من البناء الاجتماعى كان اليهود الفقراء باعة جائلين أو حرفيين صغاراً، وكانوا يعيشون فى حالة جهل، وأكثرهم يعود أصله إلى اليهود الذين قدموا مصر من فلسطين قبل الميلاد وكانت أغلبيتهم تسكن حارة اليهود ويتحدثون بالعربية، وأدى اختلاطهم مع جيرانهم إلى أن اقتبسوا عاداتهم، وأعطوا أبناءهم أسماء عربية.

وفى مجال التعليم كانت الطائفة اليهودية أول من تنبه فى مصر إلى مقتضيات العصر، فما أن رأت لواء العلم منشوراً فى البلاد إلا وهبت للانضواء تحته، وقام النابهون من أبنائها ينشئون الكتاتيب والمدارس للأولاد والبنات يعلمونهم فيها الإيطالية والعبرية والفرنسية والحساب والجغرافيا والتاريخ ويعلمون المتقدمين منهم التلمود مرة فى الأسبوع، على أن تلك المدارس فيما عدا مدرسة حارة اليهود بالقاهرة المؤسسة عام ١٨٦٠ كانت مشهورة بالقذارة أكثر منها بحسن التعليم فقامت الطائفة برمتها وتضافرت وأسست مدرستين حرتين لأولادها وبناتها. احداهما وهى أكبرهما بالقاهرة وكان يؤمها ١٧٥ طالباً، والثانية بالإسكندرية وأمها ١٤٥ طالباً. سبعون من الذكور وسبعون من الإناث والباقون من الجنسيات مختلفة.

أدى تركز اليهود فى أكبر مدينتين فى مصر إلى تقدمهم العلمى والثقافى لقربهم من المعاهد التعليمية اليهودية والأجنبية والحكومية العالية التى استقبلتهم دون قيود.

وفى سنة ١٨٧٢ كان لليهود أربع مدارس أولية بالقاهرة تضم ١٥٥ تلميذا وفى سنة ١٨٧٥ كانت لجنة من بعض رجال الدين وأعيان الطائفة تقوم بإدارة المدارس

الإسرائيلية بالطائفة، وفى الإسكندرية كانت هناك أربع مدارس أولية ثم أنشأت الطائفة مدرستين مجانيتين يقرب نظامهما من نظام المدارس الأوربية.

وتوالى بعد ذلك إنشاء المدارس الخاصة وغيرها، فلقد دخل الأليانس الإسرائيلى الدولى مسرح التعليم فى مصر عام ١٨٩٦ حينما أسس مدرسة للبنين والبنات فى مدينة الإسكندرية.

٣- مركز اليهود الاقتصادى :

ساعدت طبيعة المجتمع المصرى فى القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين كمجتمع برجوازى ناشئ على إتاحة المجال أمام اليهود ليمارسوا نشاطهم الاقتصادى فى حرية واسعة، حتى لقد استطاع بعضهم أن يسيطر على جوانب هامة من الاقتصاد المصرى.

فمع حاجة البلاد إلى التطور كانت لليهود مع سائر الأوروبيين الذين تدفقوا على البلاد فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر مكانه أكبر فى اقتصاديات مصر، وكان ارتفاع مستوى التعليم بينهم وتشجيع السلطات لهم واختلاطهم بالأجانب قد فتح أمامهم فرصاً واسعة للعمل، فشمل نشاطهم مجالات العمل الاقتصادى كافة فى التجارة والصناعة والزراعة والمصارف وغيرها، حتى لقد استطاعت عدة أسر يهودية رأسمالية أن تتحكم فترة طويلة فى الاقتصاد المصرى وتمويله وتطويره.

ففى عام ١٨٨٠ كان اليهود على صلة وثيقة بالدوائر الحاكمة فى مصر، فقدموا لها الدعم المالى وقاموا بدعم المشروعات الصناعية التى أنشئت فى ذلك الوقت نظراً لأن غالبيتهم كان من أصحاب البنوك. ومن ناحية أخرى قام المستثمرون اليهود بشراء مساحات واسعة من الأراضى بمقتضى القانون الصادر عام ١٨٥٨ الذى سمح للأجانب بامتلاك الأرض، وكونوا شركات كبيرة لاستغلال هذه الأراضى مثل شركة كوم امبو التى اشتغلت بزراعة قطاعات كبيرة من الأراضى، كما قامت هذه الشركات بالمضاربة فى هذه الأراضى أو بتقسيمها وبيعها لأغراض البناء، هذا فى حين شمل نشاط بعض أثرياء اليهود مجال زراعة القصب وصناعة السكر.

وكانت أعمال الصيرفة والربا من أهم مجالات العمل التى اشتغل بها اليهود. ففى عهد الخديو اسماعليل ازداد عد المرابين فى مصر بصورة كبيرة وكان معظمهم من اليهود الذين انتشروا فى البلاد من أقصاها إلى أقصاها حيث اداروا بنوك الرهون وبنوك التسليف واسهموا أيضاً فى إنشاء البنوك والشركات الائتمانية التى تتولى عمليات الخصم والعمولة وتقديم القروض مقابل التأمينات وبيع وشراء الأوراق المالية والسندات وتمويل المشروعات الصناعية والتجارية وإنشاء شركات التأمين التجارية لدرجة أنه فى عام ١٩٤٢م كان الرأسماليون اليهود يساهمون فى إدارة ١٠٢ شركات من مجموع ٣٠٨، كما يسيطرون على جانب ضخم من رؤوس أموالها، كما كان العاملون فيها يهودا.

ويتضح لنا مدى تغلغل اليهود داخل الهيئات والمؤسسات المالية إذا علمنا أن سوق الأوراق المالية (البورصة) ومصلحة الجمارك ومعظم البنوك كانت تغلق أبوابها فى أيام الأعياد والمناسبات الدينية اليهودية.

والى جانب اشتغال اليهود بالشئون المالية كان لهم نشاط كبير فى ميدان التجارة، فمن الواضح أن تجارة الذهب والقطن والمنسوجات وهى أهم الأدوات فى الاقتصاد المصرى، كانت تقريباً فى قبضة اليهود، إذ يشير التقرير السنوى للمندوب السامى البريطانى فى مصر عام ١٩٠٥ إلى أن نسبة كبيرة من تجارة الأقمشة كانت فى أيدى اليهود، كما كان معظم سماسرة القطن فى البورصة من اليهود ويبلغون أكثر من ٩٠٪ من مجموع سماسرة القطن فى مصر.

وتذكر مجلة «الشبان القرائين» اليهودية أن اليهود توارثوا حرفة الصياغة، وأنه جاء وقت كانت تدر فيه هذه الحرفة على أربابها الأرباح الموفورة، لذا أقبل اليهود على صناعة وتجارة الذهب حتى أنه كان من النادر أن ترى يهودياً قرائياً قد احترف غير هذه الحرفة، وأن حى الصاغة كان يغص بمحلات الجواهرجية المتجاورة والأغلبية كان من اليهود القرائين، هذا بالإضافة إلى أنهم انتشروا فى الأحياء المختلفة أيضاً مدفوعين بعاملين :

الأول وفرة الربح ، والثانى توارث الحرفة.

وأسهم اليهود أيضاً فى الصناعات الزراعية كعمليات حلج القطن وكبسه، واستخراج الزيوت وصناعة السكر، كما اسهموا فى إنشاء كثير من الشركات مثل شركة المطاحن وشركة الملح والصودا، وشركة توليد الكهرباء والثلج، وشركة صناعة الخردوات والنحاس وصباغة الحرير وغزله بالإسكندرية .. الخ.

وفى ميدان السياحة أسهم اليهود فى إنشاء الفنادق وإدارتها، كما دخل كثيرون منهم مجالات تصدير العاديات والتحف والهدايا واستيرادها، كما أنشأوا الكازينوهات ودور السينما والملاهى وأداروها.

ومع تطور البلاد وسيرها نحو الاستقلال بعد معاهدة ١٩٣٦، اضطرت الحكومة إلى إصدار عدة تشريعات غايتها زيادة إشرافها على الشركات والمشروعات الأجنبية وزيادة عدد المصريين العاملين فيها، فقد نص قانون الشركات الذى صدر فى ٤ نوفمبر ١٩٤٧ على أن يكون معظم مديرى الشركات من المصريين والا يقل عدد العمال المصريين فى أى شركة عن ٧٥٪ وأن يحصلوا على ٦٥٪ من الرواتب الإجمالية وأن تكون نسبة المصريين فى مجلس الإدارة فى كل شركة ٤٠٪.

وعلى الرغم من أن القانون كان موجهاً فى الأساس ضد الأجانب، إلا أن معظم ضحاياه كانوا من اليهود ممن كانوا حاصلين على جنسيات أجنبية أو ممن لا جنسية لهم، وكان من نتيجة تنظيمات الإدارة المصرية هذه التى وضعت للحد من نفوذ الأجانب أن تزعزعت مكانة اليهود الاقتصادية.

ومع قيام ثورة يوليو عام ١٩٥٢ ازداد الوضع سوءاً بالنسبة لليهود بسبب إجراءات التمصير ثم التأميم التى اتخذها نظام الحكم الجديد، فاضطر كثيرون منهم إلى تصفية أملاكهم والهجرة إلى خارج البلاد (٣٦).

٣- وضع اليهود السياسى :

بالرغم من أن اليهود قاموا بدور بارز فى الحياة الاقتصادية فى مصر فإنهم لم يتدخلوا فى الشئون السياسية كطائفة، وذلك لأن قسما كبيراً منهم كان يحمل

جنسيات أجنبية، ولكنهم كأفراد أدوا دورا فى الحياة السياسية فى مصر كنواب فى البرلمان وكمسئولين فى القصر، وقد ساعد على ذلك أن وضع اليهود كان وضعاً ممتازاً داخل المجتمع المصرى، إذ كانوا يعيشون منذ عهد محمد على فى ظل نظام تحررى وفى أمن مطلق، وكان هذا الحاكم المصرى يتقرب إليهم بتقليدهم مهام عليا لخدمة الدولة تتطلب الثقة.

وقد عاش اليهود فى كنف ورعاية الحكام الذين تقلبوا على حكم مصر منذ عهد محمد على حتى قيام ثورة يوليو عام ١٩٥٢ بدرجة تجعلنا نعتبر هذه الفترة بحق العصر الذهبى لليهود فى هذه البلاد، وقد استطاعوا أن يصلوا إلى هذه المنزلة من خلال العلاقات والصلات الطيبة التى أقاموها مع كل حاكم جديد أرتقى عر ش البلاد.

وإذا كانت علاقة اليهود بحكام مصر كطائفة فى مجملها طيبة، فإننا نجد أنهم كأفراد استطاعوا أن يقيموا علاقات طيبة أيضاً مع الحركة الوطنية فى مصر، ومن ثم اكتسبوا ثقة الوطنيين المصريين.

ففى ميدان الحركة الوطنية أسهم بعض الأفراد اليهود فى النشاط الوطنى المعادى للحكام ولسلطات الاحتلال، وفى إيقاظ الوعى القومى لدى غالبية المصريين، إذ يرى أحمد شفيق باشا أن تكوين الرأى العام فى مصر يرجع إلى عاملين : الأول جمال الدين الافغانى، والآخر جريدة «أبو نضارة» لصاحبها يعقوب بن صنوع الإسرائيلى بما كانت تحويه من محاورات عامة فى انتقاد الأحوال العامة والتنديد بالحكومة والاحتلال البريطانى، مما دفع الناس إلى قراءة هذه الصحيفة واقتنائها بكل الوسائل.

وبلغ إسهام اليهود فى الحياة السياسية المصرية القمة بتعيين أول وزير يهودى فى تاريخ مصر الحديث إلا وهو يوسف قطاوى باشا الذى شغل منصب وزير المالية فى حكومة سعد زغلول سنة ١٩٢٤، ثم اختير وزيراً للمواصلات فى حكومة أحمد زيوار باشا عام ١٩٢٥، وكان تعيينه فى منصب وزير تقديرا أدبياً وتكريماً للطائفة اليهودية

ودليلا على التسامح والمساواة اللذين تمتعت بهما الطائفة.

وبالإضافة إلى ذلك أسهم اليهود فى المفاوضات التى دارت بين مصر وبريطانيا بشأن تحقيق الجلاء، فقد كان يوسف قطاوى ضمن الوفد الرسمى الذى سافر إلى لندن لمفاوضة الحكومة البريطانية عام ١٩٢٢.

وشارك اليهود فى وضع القوانين التى تنظم سير الأمور فى البلاد فقد عين يوسف قطاوى عضوا فى لجنة الثلاثين التى الفتها وزارة عبد الخالق ثروت سنة ١٩٢٢ لوضع الدستور وقانون الانتخاب، كما عين زكى عريبى المحامى اليهودى ضمن اللجنة التى شكلتها ثورة يوليو ١٩٥٢ لوضع الدستور المؤقت للبلاد.

٤- النشاط الصهيونى فى مصر :

أولت الصهيونية العالمية اهتماماً كبيراً نحو مصر لعدة اعتبارات أهمها أن مصر تقع على أبواب فلسطين وبها طائفة يهودية كبيرة يمكن أن تلعب دوراً كبيراً فى خدمة الأهداف الصهيونية، ولذلك نجد أن بداية النشاط الصهيونى فى مصر واكب بداية ظهور الصهيونية الحديثة.

ففى عام ١٨٩٦ - العام الذى صدر فيه كتاب هرتزل «الدولة اليهودية» - وفد على مصر (جوزيف ماركو باروخ) الذى شرع فور وصوله إلى مصر فى السعى من أجل تأسيس هيئة صهيونية وبالفعل أثمرت جهوده فى فبراير ١٨٩٧ حينما نجح فى تأسيس أول جمعية صهيونية بمدينة القاهرة تدعى «جمعية بركوخبا الصهيونية»، أسندت رئاستها إلى جاك هارملين وعين جوزيف ليبوفتش سكرتيراً لها، وقد كتب الاثنان إلى تيودور هرتزل فى ٨ أبريل من نفس العام يبلغانه نبأ تأسيس هذه الجمعية، ويطلبان منه أن يبعث إليهما بنسخة فرنسية من كتابة الدولة اليهودية.

نشطت جمعية بركوخبا فى الدعوة للمبادئ والأهداف الصهيونية وسعت إلى جعل مصر مركزا لتوزيع مواد الدعاية الصهيونية على يهود الشرق من الجزائر حتى الشرق الأقصى ، وكانت معظم اعمال الرعاية هذه تتم فى الاجتماعات التى كانت

تعقدها الجمعية ، والتى كان يدعى إليها الزائرون من مؤيدى الصهيونية - ممن كانوا يمرون على البلاد- لالقاء المحاضرات ، حيث كان يتم توزيع المعلومات وجمع الأموال .

كان معظم قادة « جمعية بركوخبا الصهيونية» واعضائها فى السنوات الأولى من اليهود الاشكنازيم ، ولذلك سعى زعماء الصهيونية فى مصر إلى جذب اليهود السفاراديم إلى الحركة ولكن محاولاتهم باءت بالفشل ، اذ أن اليهود السفاراديم الذين ارتبطوا بمصر منذ فترات طويلة لم يتعرضوا خلالها للاضهطاد لم يقتنعوا بالحل الصهيونى للمشكلة اليهودية ، بل أن عائلات يهودية مثل عائلة قطاوى سخرت من الصهيونية .

وقد نجحت الجمعية فى بعض القضايا ولكنها صادفت عقبات كثيرة عرقلت جهودها، منها ، فتور الحماس بين اليهود المصريين ازاء الصهيونية والتنوع الغريب الذى ساد الطائفة اليهودية ، فقد كان اليهود فى مصر من جنسيات مختلفة ، ويتحدثون بلغات متباينة ، فى حين أن المطبوعات المتاحة كانت باللغة الالمانية ولهذا كان يتعين ترجمتها إلى اللغات العربية والفرنسية والعبرية واليديشة ، ولم تكن تلك بالمهمة السهلة .

تمكنت جمعية بركوخبا من أن تؤسس لها فروعا فى المدن المصرية الكبرى مثل الإسكندرية وبورسعيد وطنطا والمنصورة ، كما اقامت مدرسة صهيونية فى القاهرة عام ١٩٠٠ ، كانت تقبل الأطفال بالمجان وكانوا يتعلمون فيها اللغة العبرية وفقا للبرنامج الصهيونى .

وخلال الفترة التى سبقت نشوب الحرب العالمية الاولى تأسس عدد كبير من الجمعيات الصهيونية ، ففى القاهرة تأسست جمعية ابناء صهيون عام ١٩٠٠ وكانت تضم الاطفال تحت ١٥ سنة ، وجمعية الأدب العبرى عام ١٩٠٥ وجمعية احباء صهيون ١٩٠٦ ، ولجنة التنسيق الصهيونية ١٩٠٩ ، وجمعية ابناء صهيون للأمام ١٩١٠ ، واتحاد اطفال صهيون ١٩١١ ، والدائرة القومية اليهودية ، ودائرة هرتزل ١٩١٢ .

وفى الإسكندرية اسس شارل بغدادلى اول جمعية صهيونية عام ١٨٩٨ وحاول أن يجمع فيها صفوة الاشكنازيم والسفاراديم ، ولكن هذه الجمعية تحولت إلى فرع لجمعية

بركوخبا عام ١٩٠١ كما تأسست إلى جانبها جمعيات اخرى مثل جمعية امل صهيون ١٩٠٤ ، وجمعية عمال صهيون وجمعية ابناء صهيون عام ١٩٠٦ وجمعية شبان صهيون ١٩٠٧ ، ثم اندمجت جمعية ابناء صهيون مع جمعية زئير زيون عام ١٩٠٩ .

كانت هذه الجمعيات الصهيونية تعمل منفصلة فيما عدا جمعية بركوخبا وفروعها ، ولذلك فان القيادة الصهيونية فى النمسا ثم فى المانيا لم ترغب فى التعامل مع جمعيات صهيونية صغيرة ومتعددة ، ولذلك قام الصهيونيون داخل هذه الجمعيات بتوحيد صفوفهم فاسسوا عام ١٩١٣ «الاتحاد الصهيونى» ليضم هذه الجمعيات فى حظيرة واحدة .

وحينما نشبت الحرب العالمية الأولى تدفقت على مصر اعداد كبيرة من اللاجئين اليهود قدم معظمهم من فلسطين بسبب الاجراءات الصارمة التى اتخذها الاتراك ضدهم هناك ، وقد اعطى وجود هؤلاء دفعة للعمل الصهيونى فى مصر .

نزل هؤلاء المهاجرون فى ميناء الإسكندرية حيث قاموا معسكرات اطلق عليها اسم معسكرات التحرير ، وقامت السلطات المصرية والبريطانية بالسهر على راحتهم ، فقد امر السلطان حسين كامل بأن تصرف لهم اعانة يومية قدرها ثمانون جنيها زيدت إلى مائة ، كما هبت الطائفة اليهودية فى مدينتى القاهرة والاسكندرية لمساعدتهم ومساعدة الذين ظلوا فى فلسطين .

ففى الإسكندرية دعا ادجار سوارس رئيس الطائفة اليهودية إلى اجتماع حضرة مجلس الطائفة بكامل هيئته وجمهور كبير بلغ نحو ٤٠٠٠ شخص لتقرير الوسائل التى تمكنهم من مساعدة اخوانهم اليهود بطريقة اكثر فعالية ، وقرر المجتمعون ارسال برقية إلى روتشيلد رئيس الطائفة اليهودية فى لندن يطلبون إليه التدخل لدى القوى الحليفة لانهاء محنة سكان فلسطين ويبلغونه بأنه تم البدء فى إكتتاب لانشاء صندوق محلى يكون مستعدا للقيام بأعمال الاغاثة فى فلسطين بمجرد سنوح الفرصة .

وقد رد روتشيلد على سوارس ببرقية ابلغه فيها انه اتخذ بالفعل الاجراءات الممكنة فى انجلترا وطلب إليه تسجيل اسمه فىالاكتتاب للصندوق بمبلغ الف جنيه .

وقد اصبح صندوق اغاثة اليهود فى فلسطين الذى انشئ بالاسكندية المستودع الذى تصب فيه اموال التبرعات التى يتم جمعها من الدول الاخرى ليتم ارسالها إلى فلسطين بعد أن تعذر ارسالها بالطرق العادية بسبب الحرب (٣٨) .

ثانيا : يهود السودان :

نظرا لقلة عدد يهود السودان ، لم تعالج الدراسات العربية اوضاعهم بالتفصيل ، وما هو معروف عن هذه الطائفة التى ليس لها جذور تاريخية فى السودان ، يعتبر عاما ، اذ يتمركز فى الخرطوم وفى مدينتى كردفان وبورسودان ، وقد وصل اليهود إلى السودان عام (١٨٨٤) مع جيش (غوردون) البريطانى ، وقد كان مع ذلك الجيش يهودى عثمانى ، عمل مستشاراً للخليفة المهدى ، بعد أن اعتنق الاسلام واصبح اسمه (بسيونى) ثم عاد إلى اليهودية بعد أن فتح (كتشنر) السودان عام (١٨٩٨) ، كما جاءت للسودان عائلات يهودية من مصر والعراق وفى العام (١٩٠٠) تلتها عائلات يهودية قدمت من فلسطين وتركيا وبلاد اخرى من الشرق الاوسط ، وعدد قليل من يهود شرق اوروبا ، وما بين عامى (١٩٤٨ - ١٩٥٦) غادر بعض اليهود السودان إلى الكيان الصهيونى ، ووفق احصائيات عام (١٩٥٧) ، كان عدد يهود السودان (٣٥٠) يهوديا . ويعود وجود اول كنيس يهودى فى السودان إلى العام (١٩٢٦) ويعتقد أن هجرة يهود الفلاشا (١٩٨٥) ضمت ما تبقى من يهود السودان إلى الدرجة التى لم يعد فيها فى السودان اى يهودى (٣٩) .

يهود المغرب

جاء التواجد اليهودى فى المغرب عن طريق تدفق ثلاث هجرات متفرقة يمكن رصدها فيما يلى :-

الهجرة اليهودية الأولى :

كانت من فلسطين حيث يدعى اليهود ممن يسكنون الجبال اليوم ويتكلمون اللغة البربرية : أن اجدادهم تركوا فلسطين للمغرب قبل الاسر البابلى الذى حدث بعد أن قام ملك بابل نبوخذ نصر بمهاجمة اورشيلم فى عام ٥٨٧ ق . م وأسر يهودها ورحلهم إلى بابل وهو مايعرف بالاسر البابلى نفسه ويسمون انفسهم البلشتيم . والكلمة تحريف واضح لفلسطين . ويؤكد على ذلك عدد من المؤرخين القدماء الذين تحدثوا عن الوجود اليهودى فى المغرب منذ القدم ، واكدوا أن قدومهم اتى من الشام ، ولذلك نجد مدينة باسم أيت داود ، يقول البعض: أن مؤسسها كان يهوديا من قبيلة يهودا عندما كان الدين اليهودى منتشرا فى بعض نواحى افريقية . ويؤكد على ذلك ابن خلدون عندما يقول : أن الدين اليهودى اخذه البربر عن بنى اسرائيل ، وانتشر بين عدد من القبائل مثل قبيلة نفوسة من بربر افريقية ، وقندلاوة ومديونة وبهلوله وغياثه وبنوفازان من بربر المغرب الأقصى . وكانوا يقطنون منطقة زهرون قرب مدينة فاس ، كذلك كانت هناك جالية يهودية كبيرة فى مدينة فاس منذ القرون الوسطى لانشائها ، وهؤلاء اليهود قدموا إلى بلاد المغرب من فلسطين كما روى بعض المؤرخين فى افواج متتالية ، بسبب الثورات أو السبى البابلى أو التجارة .

الهجرة اليهودية الثانية :

جاءت مع الفينيقيين ، الذين وصلوا إلى اسانيا والمغرب التى كانت فى ذلك الوقت تسمى بلاد ترشيش ، حيث وجد اليهود فى بلاد المغرب الفينيقية المأوى والقبول والاستيطان ، لما بين الفريقين من صلات الجنس واللغة والتقاليد والعادات وهذا ما سمح لليهود بالتوغل داخل بلاد البربر ، وبين كثير من قبائل الاطلس ، وقبائل جنوب

المغرب الأقصى .

وتمرس اليهود على اعمال التجارة نتيجة لاحتكاكهم بالفينيقيين ، إلى جانب انهم اصحاب عقيدة لا وطن ، مما جعل اليهود يحترفون التجارة بشكل اساسى ، معتمدين على مجموع الجماعات اليهودية التى انتشرت فى مختلف انحاء العالم القديم ، بسبب التشرد الأول على يد نبوخذ نصر ، ثم التشرد الثانى ، وتدمير اورشليم على يد هدريان عام ١٣٥م .

هذه الجماعات كونت صلات وروابط وثيقة بينها واستقرت على حواف الطرق التجارية العالمية ، ولقد وجدت البعثة الاثرية عام ١٩٣٥م بقيادة العالم الاثرى (الم طرادبل) معبدا يسمى زحل تذكرنا ضخامة صحنه وردهاته بالطراز الكلاسيكى للمعابد الفينيقية ، وعلى محرابة نقوش من العصر القرطاجى ، وكذلك عثر على شمعدان برونزى ذى سبعة عروش وبقايا شاهد قبر سيدة تحمل جملا عبرية . واستغل اليهود التواجد الفينيقى فوطدوا تواجدهم فى بلاد المغرب ، حيث اتضح تأثيرهم الدينى فى تهويد بعض قبائل البربر البتر .

الهجرة اليهودية الثالثة :

حدثت اثناء العصر الرومانى فى القرن الأول الميلادى ، وكان عمادها المهاجرين الذين فروا من فلسطين بسبب اضطهاد الرومان لهم وانتشروا فى المغرب ، وان كان هذا الانتشار محدودا بين السكان المحليين وهم البربر ، وازداد التواجد اليهودى بالمغرب عندما فر يهود المدن الخمس ، وقرر هؤلاء الثورة على الرومان تضامنا مع زملائهم يهود فلسطين، وكذلك عندما قام الامبراطور جابوس (٣٧ إلى ٤١م) بتخريب اورشليم . ففر اليهود إلى جوف الصحراء الليبية ومنها انتشروا فى بلاد المغرب .

ولم تمر سنوات كثيرة إلا وقامت ثورة اخرى لليهود فى ٧٠م فى عهد الامبراطور فسباريان ، كان من نتيجتها أن سقطت اورشليم فى يد الرومان ودمر الهيكل عن اخره ، وقرر هؤلاء اليهود الوجودون فى مدينة سرين الثورة على الرومان اسوة باخوانهم فى

فلسطين ، وقتل كثير منهم وفقدوا امتيازاتهم وقاد الباقى منهم « بوناثان» النساج إلى جوف الصحراء الليبية ، هربا من الاضطهاد . وهذا ما يعرف بثورة اليهود الأولى التى راح ضحيتها الفان ، ولم يمر وقت كبير ، ففى عهد الامبراطور تراجان (٩٨ - ١١٧م) كان لليهود ثورة عظيمة اخرى ، اذ اشعلوا نار الحرب بارض الشام وفى بلاد كثيرة ، وفى برقة كانت بدايتها على شكل فتنة بين ساكنى المدينة من اليهود والأغريق وسرعان ما تحولت إلى حرب حقيقية ضد الحكومة الرومانية وراح ضحيتها مائتان وعشرون الف نسمة ، واختار اليهود لانفسهم ملكا يدعى (اندرياس) اول لوكاس . وقد ارسل الامبراطورتراجان قوات عسكرية وأخرى بحرية بقيادة قائده (ماركوس توربو) أشهر قواده . واستطاع التغلب على اليهود والتنكيل بهم بعد أن حولوا برقة إلى خراب شامل عام ١١٥م ، واستمرت الثورة إلى عام ١١٧م ، وقتل من اليهود الوف كثيرة ، ولاذ بعض اليهود إلى مدن الشمال الافريقى وأخرين التجأوا إلى جنوب الصحراء الليبية ، واختلطوا بالقبائل البربرية المناهضة للرومان واسهموا فى تنظيمها وتدريبها مثل زناته، الذين نجحوا فى اكتساب بعض المهارات السياسية وآخرون وصلوا إلى حوض نهر النيجر الأوسط والسنغال فى غرب أفريقيا، وتعتبر قبائل الفولانى الرعوية أكثر القبائل التى تأثرت باليهود.

وبعد قضاء ماركوس على ثورات اليهود نصب حاكماً على موريتانيا فى أوائل عصر هدريان (١١٧-١٣٨م) ويبدو أن مالقيه يهود المغرب على ايدى السلطات الرومانية، قد دفعهم إلى الميل إلى العزلة والتقارب فيما بينهم، وإلى أن يناصعوا ويبدؤوا فى الحفاظ على دينهم دون الحاجة إلى الهيكل.

واستوطن الرومان المستعمرون لافريقيا المدن الساحلية، واصبحوا تجارا ومرابين، وكونوا طبقة علوية، واستثمروا اموالهم فى شراء العقارات وزراعة الأراضى مستغلين بربرالبرانس فى زراعتها خاصة القمح لتزويد روما به.

ومما لاشك فيه أن تلك الجموع الزاخزة من الفلاحين من بربر البرانس لم تحظ من الثقافة الرومانية إلا بقدر ضئيل جداً ، واستمرت تعبد الهتهما الوطنية، وتعيش فى اكواخها، وتتكلم لهجتها المحلية، واختلطوا بالمسيحيين ومنهم من اعتنق مذهب

الدوناتية وهرب إلى الجنوب.

اما اليهود فاختلطوا اكثر بالبربر البتر الذين لجئوا إلى الداخل وهذا ما جعل الأمر سهلاً فى التفريق بين اليهود القدامى - الوافدين منذ القدم - ساكنى المدن الصغرى فى وسط وجنوب المغرب والواحات والقرى الجبلية، وبين اليهود الجدد القادمين من اوربا والذين استوطنوا المدن الساحلية مثل سبتة والمدن الكبرى.

وكان لقرار الأمبراطور قسطنطين(٣٢٤-٣٣٧م) يمنح اليهود حقوق المواطنة من الدرجة الثانية، أثر فى هجرة عدد غير قليل منهم إلى الشمال الأفريقيى، حيث استوطنوا المدن الكبرى لاحترافهم للتجارة، وانحدر بعضهم لجنوب المغرب ، فاستوطنوا بعض المدن التى كانت لها أكبر الأثر على حركة التجارة فى شمال بلاد المغرب الاقصى مثل مدينة فاس. أو فى جنوبه مثل سجلماسة، وهذه المدن ذات مواقع استراتيجية بسبب وقوعها على رؤوس الطرق التجارية القادمة من بلاد السودان الغربى التى تصدر الذهب وغيره من السلع إلى المغرب الاقصى.

ويرى البعض أن هجرات اخرى وصلت إلى بلاد المغرب من خيبر فى سنة ٧ هـ /٦٢٨م، وان اهلها اتخذوا من الجبال مقراً لحياتهم بعيداً عن الناس ولكن يبدو أن اصحاب هذا الرأى قد جانبهم الصواب، لان المعروف أن يهود خيبر هاجروا إلى وادى اذرعات على حدود الشام.

هذه هى الهجرات التى وصلت إلى المغرب خلال العصر القديم، ولكن ما هى الهجرات اليهودية إلى المغرب فى العصر الوسيط؟.

نجد لذلك رافدين بدأ اولهما من العصور الإسلامية المبكرة وبدأ ثانيهما مع نهاية هذا العصر وبداية العصر الحديث ، اما الرافد الأول أو الهجرة الأولى ، فقد بدأت مع ظهور الإسلام، واستمرت إلى شمال افريقيا رغم سقوط فينقيا، وانقسام العالم القديم إلى قسمين اسلامى ومسيحى، وكان للاضطهاد الكاثوليكى لليهود فى العالم الغربي- خصوصاً عندما عومل اليهود كمواطنين من الدرجة الثانية إلى جانب ما قام به ملك القوط فلافيوس سيزاوبوت ومن جاء بعده فى القرن السابع، من عام ٦١٢

حتى عام ٦٦٠م ضد اليهود باسبانيا اذ اخذهم قتلا وتشريداً، وحملهم على الهجرة إلى البلاد المغربية وكان لذلك أكبر الأثر فى حمل اليهود على الهجرة إلى بلاد يجدون فيها المعاملة الحسنة، فكان العالم الإسلامى على النقيض مع العالم المسيحى فى هذا الصدد، وتقاطرت افواج آخرى من يهود الأندلس بعد فتحها، ولم تكن هذه الوفود المتعاقبة من الهجرات اليهودية إلى البلاد المغربية من آصل واحد، وإنما من سلالات مختلفة

أحوال يهود المغرب فى العصر الحديث

بينما اشتغل يهود المغرب لفترة طويلة فى العديد من المهن التقليدية التى اشتهروا بممارستها، والتى كان من بينها الصرافة والتجارة، فقد اتسم التاريخ اليهودى الحديث فى المغرب بظهور شريحة اجتماعية اقتصادية جديدة اشتغل أبناؤها فى البنوك وبالتجارة.

ونتيجة لان يهود شمال أفريقيا كانوا أحيانا ما يعربون عن تأييدهم للأوروبيين وللإصلاحات التى كانت تنفذ فى بلادهم بضغط من الأوروبيين، ونتيجة أيضا لمعرفتهم بلغة وتقاليد هذه البلاد، فقد اشتغل اليهود أما كعميل للقوات الأوروبية أو كشريك فى الصفقات التجارية التى كانت تنفذها الشخصيات القيادية وحرص هؤلاء التجار الذين انتموا الى الطبقة البرجوازية، وعلى خلاف ما فعله التجار اليهود فى العصور السابقة، على استثمار أموالهم فى الخارج أو تحويلها الى وسائل للإنتاج، واستغل اليهود الرعاية التى منحتهم إياها القنصليات الأجنبية وعلاقاتهم الدولية المتشعبة للحفاظ على مصالحهم الاقتصادية.

وكان تجار السلطان فى المغرب من ابرز أبناء هذه الطبقة اليهودية البرجوازية فاشتغل بعضهم بالتجارة، واشتغل بعضهم الآخر كعملاء للسلطة المركزية، فتولوا مهمة إدارة أموال السلطة فى عملياتهم التجارية فى العالم المسيحى، كما تمكن بعضهم من احتكار عمليات التصدير والاستيراد، وتزايدت قوة أنشطة اليهود التجارية بعد أن تأسس فى عام ١٧٦٤، أى أبان عهد الملك محمد الثالث (١٧٥٧-١٧٩٠)، ميناء

موجادير، وقد دعا الملك بعد أن تأسست مدينة موجادير اليهود الى الاستقرار بالمدينة، وتم توطينهم فى حى القصبة الادارى الذى كان يقيم به المسئولون، واعفى الملك محمد الثالث اليهود من دفع الجزية أو اية ضرائب أخرى مما شجعهم على التوسع فى أنشطتهم التجارية، فشملت أنشطتهم كل مدن المغرب، ولاشك أن الحماية التى وفرتها السلطة لليهود جعلت التجار اليهود ينجحون فى منافسة التجار الأوروبيين.

وحرص القناصل ورجال الأعمال الأوربيون على التقرب الى اليهود وإشراكهم فى عملياتهم التجارية، خاصة بعد أن اتضح لهم أن يهود المغرب ينعمون بالأمن والاستقرار، وكان التجار اليهود بالمغرب من أوائل التجار الذين حرصوا على شراء اسهم الشركة البحرية الفرنسية، وكان من ابرز هؤلاء التجار كل من: كوركوس، والمالح، وافرياط، ولذلك حينما أسس أخوات برير فى عام ١٨٨١ بنك (ما وراء الاطلنطى)، فقد اختاروا أبناء عائلة كوركوس لتمثيلهم فى موجادير ومراكش.

وكان معظم ممثلى القناصل الأجانب بالمغرب حتى نهاية عقد الخمسينات من القرن التاسع عشر من اليهود، فمثل التجار اليهود فى الرباط قناصل أربع دول أجنبية وهى: بريطانيا وأمريكا وأسبانيا والبرتغال، كما مثل التاجران اليهوديان ش. سوميل و ى.بن دهان القنصل الفرنسى فى الدار البيضاء.

وقد كان لدخول القوى الأوروبية المغرب اكثر الأثر فى حياة الطائفة اليهودية حتى قبل اختلاطها بشكل مباشر مع المغرب، وبينما تزايدت أهمية المراكز اليهودية فى المدن الساحلية تضاءلت فى المقابل أهمية المراكز اليهودية التقليدية الواقعة فى المدن الداخلية التى تولت طيلة الفترة السابقة للعصر الحديث مسئولية بحث كل القضايا الخاصة باليهود.

وتزايدت فى هذه الفترة أيضا قوة أبناء الطبقة البرجوازية الحديثة فاصبحوا يتحملون مسئولية إدارة شئون الطائفة، وسرعان ما شغل أبناء هذه الطبقة، نتيجة لعلاقاتهم القوية مع السلطات المحلية والجهات الأوروبية، ولقوتهم، الاقتصادية،

المناصب القيادية فى الطبقة، ومع هذا ظلت القيادة الدينية المحافظة تسيطر على مقاليد الأمور فى أوساط اليهود المقيمين فى المدن التى لم تتأثر مثل المدن الساحلية بالفكر الأوروبي. (٤١)

ولم تتكون قيادة المجتمع اليهودى فى المغرب من الحاخامات فحسب، إذا ضمت القيادة أيضا بعض الشخصيات اليهودية الأخرى مثل تلك التى كانت مكلفة بجباية الضرائب من أبناء الطائفة، والتى كانت تستمد نفوذها الاجتماعى من ثرائها، ومدى قربها وتأثيرها فى السلطة، وكانت معظم هذه الشخصيات حتى القرن التاسع عشر تنتمى الى عالم الفكر اليهودى التقليدى وتتمسك بالتقاليد ويمكن القول انه ساد حتى هذا الحين قدر ما من التوازن الحقيقى فى أوساط المجتمع اليهودى بين القيادة الروحانية ونظيرتها الاقتصادية. (٤٢)

واستمرت المؤسسات التعليمية اليهودية فى ممارسة أنشطتها أبان الفترة التى تزايدت فيها قوة المدارس اليهودية التابعة لجماعةً كل شعب إسرائيل أصدقاءً والمؤسسات التعليمية الأوروبية الأخرى التى مارست أنشطتها فى هذه البلدان، ومارست المؤسسات اليهودية التقليدية معظم أنشطتها فى الأجزاء الداخلية والجنوبية من المغرب، ولكنها حرصت على تبنى الطرق التربوية الحديثة التى تتبعها المدارس الحديثة، وقد كان للحاخامات اليهود دور مؤثر فى الضغط على المدارس اليهودية بالمغرب بفرض بذل المزيد من الاهتمام بدراسة العلوم الدينية. (٤٣)

ويمكننا تقسيم المجتمع اليهودى فى المغرب من الناحية الثقافية الى ثلاث فئات وتضم الفئة الأولى الحاخامات، وحافظت هذه الفئة على ثقافتها التقليدية، وكانت الفئة الثانية تضم اليهود الذين كانت لهم معرفة بأصول القراءة والكتابة، أما الفئة الثالثة فتضم المعدمين من اليهود الذين لم يعرفوا أساسيات القراءة والكتابة، وفيما يتعلق بالنساء فلم يكن لديهن اى قدر من الثقافة والمعرفة، وكانت هناك على هذه النحو هوة ثقافية ضخمة بين الحاخامات الذين كان عددهم ضئيلا فى المجتمع وبين الشعب اليهودى، وفى الحقيقة لم يكن فى المجتمع اليهودى بالمغرب اى وجود للطبقة المتوسطة.

وكانت النساء اليهوديات فى المغرب يغطين رؤوسهن مثل السيدات المسلمات حتى فى ظل الفترة التى تسللت فيها بعض المؤثرات الغربية الى المجتمع اليهودى، ولكنهن توقفن عن تغطية رؤوسهن بعد أن اصبحن اكثر تأثيرا بالثقافة الغربية، وفى حقيقة الأمر كان وضع المرأة اليهودية افضل من وضع المرأة المسلمة فى بلدان المغرب التى سيطر عليها حتى القرن العشرين المذهب المالكى، ومع هذا استمرت النساء اليهوديات فى بعض الأماكن فى ارتداء الملابس التقليدية فكانت العروس اليهودية ترتدى فى حفل زفافها ملابس يغلب عليها الطابع الأندلسي المعروف.

وكانت الموسيقى الشعبية ليهود الأطلس والمناطق الجنوبية بالمغرب شديدة الشبة بالموسيقى المحلية، أما موسيقى يهود المدن الساحلية وشمال المغرب فقد كانت مزيجا من موتيفات عديدة خاصة بالبربر والأفارقة وشعوب البحر المتوسط، كما سادت فيها أيضا موتيفات شرقية وأندلسية وتطور فى أوساط يهود هذه البلدان فن القصيدة العربية، وفيما يتعلق بعلم ترتيل التوراة فى أوساط يهود جربه وتافيلالت فقد كان شديد التشابه أن لم يكن متطابقا مع أصول تراتيل التوراة فى أوساط يهود بغداد، وربما ترجع أصول هذا التشابه الى الفترة التى سادت فيها علاقات وثيقة بين يهود بابل ويهود المغرب. (٤٤)

يهود تونس

كسائر أوضاع اليهود فى المجتمعات العربية تمتع اليهود فى تونس عموما بقسط وافر من الحرية، ففى تونس التى بلغ عدد اليهود فيها عام ١٩٨٦ حوالى (٥٠.٠٠٠) يهودى، تمتع اليهود تاريخيا بحريتهم وعاشوا فى جو من التسامح، دللت عليه قوانين عديدة منها: «عهد الأمان»الصادر عام (١٨٥٧)، ودستور عام (١٨٦١)، واللذين رفعا عن اليهود مجمل المحظورات العنصرية التى كانت مضروبة عليهم من قبل.

أصول اليهود فى تونس

وجدت فى تونس مجموعتان متمايزتان من اليهود وطائفتان إذ انقسم اليهود فى تونس حسب المنبت القطرى الأصل لكل منهم الى طائفة «الغرانة» وطائفة «التوانسة» فاليهودى «اللغرنى(» هو الذى ينحدر من بلد أوروبي، بينما اليهودى «التونسى»هو الذى ينتسب الى سلالة سكنت البلاد منذ عهود موغلة فى القدم كيهود جزيرة جربة، أو جاءتها حديثا من بلد إسلامي أخر غير تونس. وقد بلغ عدد اليهود «الغرانة» حوالى (١٠) آلاف يهودي، وذلك فى بداية القرن العشرين، ويرجع سبب وجودهم فى تونس الى التطور العاصف للرأسمالية فى أوروبا، فقد وقع إجلاؤهم بالقوة من شبة الجزيرة الايبرية فى أواخر القرن الخامس عشر لانهم بتخصصهم الوظيفى فى التجارة شكلوا عقبة أمام نمو الطبقة التجارية المحلية، وهذا ما يفسر لقب «البرتغاليين» الذى يطلق عليهم، كما ينتسب سليل هؤلاء المهاجرين فى اغلبه الى مدينة «الغرنة»الإيطالية، وانعكس ذلك على ألقاب العائلات اليهودية من هذه الطائفة مثل ألقاب: فانزى، باريانتى، مدينا، بيونو، مونتيفورى وقد انفصل يهود «الغرانة» رسميا عن طائفة «التوانسة» سنة (١٧١٠) فأصبحت لهم منذ ذلك التاريخ مؤسساتهم الخاصة وبالمقابل طغت الألقاب على يهود طائفة «التوانسة» مثل ألقاب : علوش ، بعليش، يونان، بلحسن، غزلان، معارك، بجاوى، صباغ، زيتون. وقد أدى الانفصال بين الطائفتين الى تشنج فى العلاقات بينهما، الى الدرجة التى دفعت بيهود الغرانة، وفى سبيل المحافظة على استقلالهم، الى قبول معاهدة مجحفة سنة (١٧٤١) نصت على: منع «التوانسة» من اشتراء اللحم من المقصبة «الغرنية» لكن مع إبقاء مقصبة «التوانسة» مفتوحة فى

وجه «الغرانة» وتحمل الأعباء المالية الملقاة على عاتق اليهود بنسبة الثلثين للتوانسة وبنسبة الثلث «الغرانة» ورسم خطة تباين واضح بين «الغرانة» و «التوانسة» تستند بمقتضاة «الهوية الغرنية» لكل يهودى أصيل أوروبا والهوية «التونسية» لكل يهودى أصيل البلاد التونسية، أو اى بلد إسلامي، ويسود اعتقاد لدى «الغرانة» انهم متفوقون حضاريا على «التوانسة».

وفى مراحل لاحقة جرت محاولات لإصلاح أوضاع اليهود فى عهد «الباى» فيما بين (١٨٨١-١٨٩٨)، والتى تمحورت حول تنظيم محاكمهم ومجالسهم وكافة شئونهم كما تعرضوا لعملية «فرنسة» تجاوب معها الى حد ما اليهود، وتمثل ذلك بقبول الفرنسيين لطلب اليهود بإلحاقهم بالمحاكم الفرنسية وتأييد مشروع «دى كرنيار» القاضى بإلغاء المحاكم العدلية التونسية، وهذا ما أثار السخط فى أوساط الشعب التونسى. وشكلت تلك الاستجابة اليهودية لعملية «الفرنسة» بيئة مناسبة لمتغيرات عديدة فى أوضاعهم فى تونس.

خلال فترة النضال الوطنى دعا الزعماء الوطنيون التونسيون الى التسامح مع اليهود. واعتبرت تلك الدعوة «مجاملة» للعنصر اليهودى التونسى واستدراجا لمعونته، وحماية من كيده، إذ تم تعيين «البرت بسيس» وزيرا للصحة وعضوا للحكومة فى وزارة المفاوضات من اجل الحكم الذاتى، من أيلول (١٩٥٥) الى آذار (١٩٥٦)، وفى الحكومة الأولى لعهد الاستقلال عين «اندرية باروخ» وزيرا للبناء والتخطيط (١٩٥٦-١٩٥٨).

وقد منح القانون اليهود التونسيين كغيرهم من بقية المواطنين حق المشاركة فى الانتخابات التشريعية والبلدية. وتولى عدد كبير منهم المناصب الإدارية العليا خاصة فى مجالات الاقتصادية. (٤٥)

الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والدينية ليهود تونس

منذ النصف الثانى للقرن التاسع عشر كان ابرز أبناء الطبقة البرجوازية فى تونس من المهاجرين اليهود أو من رعايا القوى العظمى، فمن رعايا إيطاليا برز من اليهود

الطبيب افراهام لومبروزو، ويعقوب جوطيرسى من ابرز الشخصيات اليهودية التى اشتغلت بالطب والتجارة عشية سقوط تونس تحت الاحتلال الفرنسى، كما كان افراهام لومبروزو من كبار مستشارى الحاكم الفرنسى (١٨٥٥-١٨٥٩)، وتولى إبان حرب القرم قيادة سلاح المعونات الطبية بالجيش التونسى الذى أرسل للجبهة للوقوف بجانب الإمبراطورية العثمانية، وقد أتاح لومبروزو لأعداد كبيرة من اليهود فرصة شغل العديد من المناصب المهمة فى حياة الدولة الاقتصادية.

ويقدر البعض أن ٧٠٪ من الديون المستحقة على تونس فى نهاية القرن التاسع عشر كانت ديونا لرجال أعمال يهود كان بعضهم من رعايا فرنسا وبريطانيا، وكان من بينهم داود سنتيانا الذى كان من ابرز رجال البنوك فى تونس، وكان من بينهم أيضا رجل البنوك موشى ليفى من سوسة الذى كان ابرز أحد المهاجرين اليهود الذين قدموا من جيل طارق الى تونس.

وكان للتحولات الاقتصادية التى شهدتها تونس فى العصر الحديث آثرها بالسلب على اليهود التونسيين من رعايا الباى، حيث اضطر نسيم شمامة الذى عمل وزيرا للاقتصاد فى تونس خلال عامى ١٨٦٠-١٨٦٤ للرحيل عن تونس بعد أن وجهت له تهمة اختلاس بعض الأموال من الخزانة، ومع هذا لم يحل هذا الاتهام دون أن يتولى ابن أخيه فى مرحلة لاحقة نفس المنصب خلال عامى ١٨٦٤-١٨٧٣، ولكنه اضطر فيما بعد للرحيل عن تونس بعد أن وجهت إليه اتهامات شبيهة. (٤٦)

وفيما يتصل بأموال يهود تونس التعليمية والتربوية، فقد حاولت الطائفة اليهودية فى تونس عشية الحرب العالمية الأولى تجديد النظام التعليمى فأسست الطائفة مدرسة تم فيها الدمج بين دراسة المواد الدينية ودراسة العلوم الحديثة واللغات الأجنبية، ونجحت هذه المدرسة مع مضى الوقت فى القضاء على نظام (الكتاب) التقليدى، ومع هذا استمر النظام التعليمى التقليدى فى فرض وجوده فى أوساط الطوائف اليهودية المقيمة فى منطقة جربة الواقعة بجنوب تونس، كما استمر الحاخامات اليهود فى تونس طيلة الفترة الممتدة من نهايات القرن التاسع عشر وحتى نهايات الأربعينات من القرن العشرين فى معارضة كل محاولات تأسيس اى مدارس يهودية حديثة. (٤٧)

وفيما يتعلق بالواقع الاجتماعى فكانت هناك فى تونس عائلات يهودية بالغة الثراء، ولكن كانت معظم العائلات اليهودية تعيش فى حالة لا مثيل لها من الفقر وفى ظروف معيشية غير مناسبة، وتفيد الكتابات التى وصلت إلينا عن حياة يهود تونس أن معظم العائلات اليهودية التونسية كانت تملك قدرا بسيطا من الأثاث، وان الفقراء من اليهود لم يمتلكوا حتى الأسرة، وانهم كانوا يفرشون الأرض، (٤٨) وهو الحال الذى كانت عليه كثير من الآسر التونسية المسلمة.

ومع مشارف القرن العشرين أدخلت بعض التغييرات الجوهرية على البنية التنظيمية للطائفة اليهودية فى تونس، فقد شكل مجلس من أثنى عشر عضوا لبحث شئون الطائفة، وكانت تجرى كل أربعة أعوام انتخابات عامة لانتخاب أعضاء المجلس، وكانت أعمار هؤلاء الأعضاء لا تقل عن واحد وعشرين عاماً، كما كانوا من بين الذين يدفعون الحد الأدنى من الضرائب، وكان رئيس هذا المجلس ينتمى الى الدوائر العلمانية المستنيرة، وكان من بين مهامه تمثيل الطائفة أمام السلطات، وكان هذا المجلس مكلفا ببحث كافة القضايا الدينية والخيرية، والإشراف على المعابد والمقابر والمؤسسات التعليمية الدينية.

وكانت البنية التنظيمية للطائفة اليهودية فى الضواحى شديدة الشبه بالبنية التنظيمية للطائفة اليهودية فى مدينة تونس، فحافظت الطائفة اليهودية فى جربه طيلة العقود الأخيرة على طابعها التقليدى، وكانت هذه الطائفة مقسمة الى جماعتين، وبينما أقامت الجماعة الأولى فى الحارة الكبيرة أقامت الجماعة الأخرى فى الحارة الصغيرة ، وتولى الحاخامات الذين عرفوا بأخيار المدينة رئاسة الجماعتين. (٤٩)

يهود الجزائر

عاش اليهود فى الجزائر فى ظل الحكم الإسلامي فى جو من التسامح والحرية والعدالة، ويذكر انه خلال عملية الفتوحات الإسلامية لشمال أفريقيا اعتنق يهود تلك البلاد الديانة الإسلامية. لكن فى القرن الثالث الهجرى - التاسع الميلادى - ظهرت مجتمعات منظمة لليهود فى القيروان وقسطنطينية وتلمسان وفاس، يقيمون فيها شعائرهم الدينية، ويولون أحبارهم قضاة وفى فترات لاحقة ونتيجة لما كان اليهود يقومون به من مكر للإثراء وجمع الأموال وما اشتهروا به من مضايقات مادية لذوى المال والجاه من المسلمين واعتداءات على فقرائهم وضعفائهم وكراهية لهم جميعا، كانت المواقف منهم تتسم من حين الى أخر بشىء من الحدة والعنف، واشتهرت فى الأوساط الشعبية وعامتها عقائد منها ما يردده الناس الى الآن، أن اليهود أعداؤنا وأعداء نبينا، ومنها انه لا يؤمن من جانب أحد منهم ولو مضى له أربعون جدا فى الإسلام، وبحكم ذلك لحقت اليهود بعض أوصاف الامتهان، بجميع أطراف البلاد المغربية ومنها الجزائر. وتحديدا ما تم التعبير عنه فى دور اليهود فى التمهيد لاحتلال فرنسا للجزائر. إذ انه وبعد أن نال اليهود فى عهد مصطفى باشا مركزا تجاريا غربيا، ضيقوا على البلاد، وقامت ضدهم الفتنة الشهيرة فخففوا قليلا من وطأة احتكارهم . ثم ما لبثوا أن استعادوا نفوذهم المالى وعاد بكرى وبوشناق اليهوديان الى احتكار كامل قمح البلاد وإرساله الى فرنسا حتى ضج الناس ونشأت أزمة القمح وقتل أحد جنود بوشناق. إضافة الى ذلك رحب يهود الجزائر بالاحتلال الفرنسى للبلاد ويذكر «ابن الخوجة» أن اليهود كانوا يجوبون فى مرح شوارع عاصمة الجزائر إما خوفا أو طمعا فى العنصر المحتل، وأما كيدا ومكرا بالمسلمين المضطهدين المنكوبين أو لشعور مشترك يجمع بين الحالين، يجلسون على ركبهم عند مرور العساكر الفرنسية يقبلون أقدامهم وأيديهم، ثم يطوفون بالطرقات بثياب الزينة ويضربون كل من يلقونه من المسلمين رافعين أصواتهم بكلمات الترحيب بجيش الاحتلال منادين بلهجتهم «فيفالى فرانشى».

ما سبق من سلوك لليهود تجاه الفرنسيين أدى لاستخدامهم، إذ خصتهم سلطات

الاحتلال بتمييز واضح حين اعتبرتهم عناصر من الشعب اليهودى تخضع للاحتلال الفرنسى، ومنحتهم دون المسلمين الذين اخضعوا للحكم المباشر حق التصرف الحر فى إدارة شئونهم بأنفسهم، لذلك تطور الوضع السياسى لليهود. فالغى منصب قائد اليهود الذى كان قائما منذ قرون فى مختلف البلاد العربية وإستبدل برئيس الطائفة عام (١٨٣٠)، ويستمد رئيس الطائفة سلطته مباشرة من القائد العام لجيش الاحتلال الفرنسى، ويتجدد انتخابه كل عام من بين ثلاثة مرشحين من طرف أعيان الطائفة. وقد رأس الطائفة آنذاك «يعقوب بكرى» كما طرح عام (١٨٤٣) موضوع تجنيس يهود الجزائر بالجنسية الفرنسية. وهذا ما تم تجسيده لاحقا فى قانون صدر عام (١٨٦٥)، الذى استجاب لمطالب اليهود التجنس بالجنسية الفرنسية. وقد حاولت الثورة الجزائرية استمالة اليهود الى صفوفها لاحقا، لكن غالبية اليهود اتخذوا موقفا مناوئا للثورة بشكل عنيف.(٥٠)

أما أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية فكانت شبيهة فى الفترات اللاحقة لأوضاعهم فى سائر البلاد العربية من حيث ممارسة طقوسهم الدينية والإشراف على شئونهم الخاصة، وامتلاك نفوذ اقتصادى هام فى مختلف اوجه النشاط الاقتصادي فى الجزائر، وخاصة التجارة حيث ظهر نفوذ عائلات ماكورو وباروخ ولويزاوا، وزاكوتو والغارينجا، وسفورنو، إلا أن نفوذ عائلات أخرى طغى فى مرحلة لاحقة على الجميع وهى عائلة بوشارا (بوشعرة) وبوسناش (بوجناح) وكوهين بكرى، وقد تصاهرت هذه العائلات فيما بينها وكونت لها مكانة مرموقة فى البلاد فى مطلع القرن الثامن عشر، تلك العائلات التى مهدت للاحتلال الفرنسى للجزائر، كما أشرنا سابقاً، أما العائلات الوريثة فهى عائلات كانسينو وسابورتاس واتالى وزفران وغيرها.

ولجهة تعداد يهود الجزائر يذكر أن عدد يهود الجزائر كان خلال فترة الاحتلال الفرنسى حوالى (١٤٠٠٠٠) يهوديا، غادر معظمهم بعد الاستقلال الى فرنسا بصورة أساسية، وقدر عدد يهود الجزائر ووهران بـ (٣٥٠٠٠) يهودى، بينما بلغ عدد يهود القسنطينة حوالى (٢٥٠٠٠) يهودى. (٥١)

أن البطالمة هم المسئولون مباشرة عن قدوم اليهود الى ليبيا، حيث قدموا لهم ميزات لم تتح لغيرهم من الجاليات، إضافة الى تشجيعهم لهم على ممارسة مختلفة المهن ابتداء من التجارة والزارعة ومرورا بخدمتهم فى الجيش والشرطة البطلمية ونهاية بانتشار هم فى الدوائر الحكومية على غرار وضعهم فى مصر.

وقد استغل البطالمة اليهود كأداة لتنفيذ أغراضهم العسكرية والاقتصادية فى إقليم برقة، وكان لليهود دور كبير فى إرساء دعائم الحكم البطلمى فى الإقليم حيث أصبحوا يمثلون عنصرا مهما من العناصر التى تكون الإقليم، سواء كان ذلك فى الريف أو فى المدينة، ففى بداية حكم البطالمة للإقليم كان اليهود يخدمون فى الجيش الذى يحمى المدن والحدود وكذلك تواجدوا فى الريف كأصحاب إقطاعات وعسكريين فى آن واحد، وكأفراد شرطة وجباة ضرائب أيضا، وعن طريق ذلك استطاع البطالمة تأمين جانب المدن والريف الذى يمثل جزءا كبيرا من السكان وعددا أكبر من القرى إذا قيست بالمدن.

ومن خلال استعراضنا للعلاقات التى كانت قائمة بين القبائل الليبية والمستوطنين البطالمة يمكننا التعرف على الدور الذى مثله اليهود سواء فى الريف أو المدينة ويمكننا كذلك أن نؤكد على مشاركة اليهود للبطالمة فى محاربتهم للقبائل الليبية واحتلال أراضيهم الزراعية وتقديم المعلومات عن تلك القبائل من قبل أفراد الشرطة وجباة الضرائب والعسكريين اليهود.

وتعتبر هذه الفترة فقيرة من النواحى الأثرية التى توضح ذلك الدور الذى لعبه اليهود فى العلاقات التى كانت قائمة فى إقليم ليبيا آنذاك، ونستعرض إلى دور اليهود بصورة أوضح خلال فترة العصر الرومانى نتيجة لتوفر المصادر التى تشير الى ذلك فى إقليم برقة الليبى.

فمن خلال البحث فى النقوش والنصوص التاريخية يمكننا أن نحدد ماهية الدور الذى لعبته الجالية اليهودية فى الإقليم ومدى علاقاتها بالبطالمة والرومان والليبيين.

لقد ساند اليهود الرومان مساندة كبيرة قبل أن تسوء العلاقات بينهم، والسبب يرجع الى كسب ود الرومان حتى يكونوا الى جانبهم فى صراعهم ضد الإغريق الذين كانوا فى حالة صراع مع اليهود فى بعض الولايات الرومانية. (٥٢)

أوضاعهم الاجتماعية:

كانت أوضاع اليهود الاجتماعية فى تلك المرحلة تحت إشراف المجلس الطائفى اليهودى فى مدينة طرابلس التى تضم غالبية اليهود، إذ كان للمجلس سلطة إدارية مستقلة ذاتيا، يفترض بمقتضاها ما يقرره من ضرائب على أفراد الطائفة حسب مداخيلهم، وكان يظهر ذلك مثلا فى الاداءات الموظفة لدى القصابين على لحم «الكاشير» ولدى أصحاب الحانات والتجارة على ما يبيعونه من خمور.

أما محاكم الأحبار فان لها حق التشريع فى المسائل الزوجية، كما تفصل بين اليهود فى قضايا الأحوال الشخصية، ولكنها لا تباشر شيئا بصدد مسائل الوراثة، فقد كان ذلك يجرى وفقا للقانون المدنى الإيطالي، وقد كان اليهود الى جانب ذلك يقومون بجميع طقوسهم الدينية فى ظل حرية تامة. تقلصت فيما بعد ثم ازدهرت خلال المرحلة الثانية التى بدأت مع خضوع طرابلس الغرب وبنغازى للإدارة البريطانية، فقد أصدرت إيطاليا لاحقا ومع نشوء دول المحور قوانين وأنظمة فى روما وطرابلس ضد اليهود، ولولا التساهل فى التطبيق الذى لوحظ فى ليبيا لقضى على أكثرية اليهود فيها نهائيا، ومع ذلك فان الصنف الثالث من أصناف يهود ليبيا وهم اليهود الأجانب ومن حصل على الجنسية الإيطالية بعد العام (١٩١٩)، تعرضوا إما للطرد إذ لم يبق لهم حق الإقامة على التراب الإيطالي والمستعمرات التابعة لها وإما للنفى والاعتقال، وسخر الكثير منهم للخدمات وخاصة بعد هزيمة إيطاليا على الحدود المصرية عام (١٩٤٠) بتهمة تعاونهم مع الحلفاء وقيامهم بنشاطات تخريبية. هذه الحالة دفعت بيهود ليبيا مع قدوم البريطانيين والحلفاء الى ليبيا، الى التعاون والترحيب بالقادمين الجدد، وخضعوا للإدارة البريطانية التى ضمت مناطق واسعة من ليبيا ماعدا منطقة فزان التى خضعت للإدارة الفرنسية ولم يكن يتواجد فيها اى يهودى. وتحت الإدارة البريطانية تمتع اليهود بالحرية إذ أزالت قوات الجيش البريطانى الاسلاك الشائكة

من حول الأحياء اليهودية، وألغت القوانين الجائرة ضد اليهود،وعادت مجالس الأحبار لممارسة مهامها، وتشكلت تلك المجالس من جديد فى طرابلس وبنغازى وتألف كل مجلس منها من (١٢) عضوا وتفرعت عنها لجان لإدارة شئون التعليم والقيام بالشعائر الدينية والإشراف على المصالح والشئون الاجتماعية. (٥٣)

الأوضاع القانونية والتعليمية ليهود ليبيا

فى منتصف القرن التاسع عشر تحسنت أوضاع اليهود القانونية فى ليبيا، وتجلت مظاهر هذا التحسن فى امتلاكهم لحرية التنقل، بالإضافة الى إلغاء السلطات للمراسيم التى كانت تلزم اليهود بارتداء ملابس تختلف عن ملابس المسلمين، كما اندمج يهود ليبيا، وبما يتماشى مع سياسة الإصلاحات العثمانية فى الهيئتين القضائية والعسكرية، وشيدوا العديد من المعابد، ورغم انه كانت لهم حرية التنقل أينما ساروا فقد فضلوا حتى بدايات القرن العشرين - الإقامة فى أحيائهم التقليدية. (٥٤)

وقد شغل الحاخام الياهو حازان خلال عامى ١٨٧٤-١٨٨٤م منصب كبير الحاخامات فى ليبيا، وكان الحاخام حازان من بين مبعوثى الاستيطان اليهودى فى فلسطين الذين استقروا فى ليبيا، ثم اعقبه فى هذا المنصب كل من الحاخام ديفيد بابو والحاخام ديفيد قمحى، وكان كلاهما من مواليد القسطنطينية، وكان الحاخام خرقيا شبتاى أخر كبار الحاخامات الذين تم تعيينهم من قبل تركيا فى ليبيا، وظل هذا الحاخام يمارس مهام منصبه حتى عام ١٩٠٨م، ثم اضطر فيما بعد للرحيل عن طرابلس نتيجة لتزايد حدة الخلافات فى أوساط الطائفة بين الاتجاه المؤيد لإيطاليا وبين الاتجاه المؤيد للإمبراطورية العثمانية. (٥٥)

وكان للمحاكم الحاخامية اليهودية حتى نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين مكانة بالغة الأهمية فى حياة يهود ليبيا، ولو انه طرأت على مكانتها -بعد ذلك بقليل- بعض التغيرات، أما نتيجة للتطورات التى حدثت داخل صفوف اليهود أنفسهم، وإما نتيجة للإصلاحات التى طبقتها السلطة الاستعمارية فى البلاد.

وكان لهذه المحاكم صلاحيات واسعة النطاق لم تقتصر على فرض الشريعة على

اليهود، وإنما شملت كذلك محاكمة الخارجين على القانون، فكان للطوائف اليهودية حق محاكمتهم وتسليم المتهمين للسلطات وكانت هذه المحاكم تتولى أيضا مسئولية الإشراف على تنفيذ القوانين الخاصة بالطائفة، والتى شملت كافة اوجه حياة المجتمع الاقتصادية، كما كانت تشرف أيضا على قضايا الأحوال الشخصية ووضع المرأة فى المجتمع (٥٦)

وشهدت الطائفة اليهودية فى ليبيا خلال نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين تطورا ملموسا فى النظم التعليمية، ويرجع فضل هذا الأمر الى أنشطة الحاخامات الداعين للأخذ بالحداثة، والذين كان من بينهم الحاخام الياهو حازان الذى عمل فى كل من القاهرة وليبيا.

وتعد مؤسسة (يجديل توراة) من ابرز المؤسسات التعليمية التقليدية فى ليبيا، وشهدت هذه المؤسسة فى العصر الحديث تطورا ملموسا تمثل فى إنشاء فصول عديدة للتلاميذ، وإلزام العاملين بها على الحصول على شهادات تؤهلهم للتدريس، وقد حرص الحاخام موردخاى هاكوهين الذى تولى مهمة الإشراف على هذه المؤسسة بعد رحيل الحاخام حازان، على تأهيل الطلاب اليهود للحياة العملية، ولذلك ادخل بعض المواد الدراسية الجديدة على هذه المؤسسة، فلم تقتصر الدراسة فى عهده على دراسة المواد الدينية فحسب، وإنما أصبحت تشمل دراسة المهن الحرفية واللغات الأجنبية، والجدير بالذكر أن هذين الحاخامين دخلا فى مواجهة عنيفة مع (طائفة القضاة) التى عارضت إدخال تعديلات على المناهج الدراسية، ولكن هذه المعارضة لم تحل دون تأسيس فروع أخرى لمؤسسة (يجديل توراة) ليس فقط فى طرابلس وإنما فى سائر القرى الليبية بل وفى بنغازى أيضا. (٥٧)

وعلى صعيد الثقافة الشعبية كان المسلمون ينظرون بعين الاستحسان الى بعض العادات اليهودية التى كان الغرض من ممارستها جلب الرخاء للمجتمع، فكان أطفال اليهود فى ليبيا – على سبيل المثال – ينثرون المياه كل منهم على الآخر فى عيد شفوعوت (عيد الأسابيع اليهودى) للتعبير عن أملهم فى أن يكون العام مطيراً، وانتشرت نفس العادة فى أوساط يهود المغرب. (٥٨)

والجدير بالذكر انه على خلاف المواقف التى تبناها حاخامات المجالس اليهودية فى معظم بلدان المغرب العربى، رأى الحاخامات الإيطاليون الذين قدموا الى ليبيا أنه يتعين عليهم الحفاظ على التقاليد اليهودية فى ليبيا، والعمل على تطوير الطائفة اليهودية بها، ووضعها على درب الحداثة، وقد فوجئت السلطات الإيطالية بموقف هؤلاء الحاخامات الذين عارضوا اية إجراءات من شأنها إلحاق الضرر بتعاليم الديانة اليهودية، فهاجم الحاخام جوستافو كسنلبو لوينسى فى عام ١٩٣٣م المرسوم الذى اجبر اليهود على إرسال أطفالهم الى المدارس يوم السبت. (٥٩)

وقد كان تأثير الاحتلال الإيطالي على البنية الاجتماعية والاقتصادية ليهود ليبيا محددا للغاية بالمقارنة بتأثير الفترة الاستعمارية فى يهود شمال أفريقيا، وقد ظلت أوضاع يهود ليبيا حتى نهايات القرن التاسع عشر كما كانت عليه من قبل، إذ اشتغل نحو ٨٠٪ من يهود ليبيا حتى هذا الحين بالتجارة بكافة صورها.

وفيما يتعلق بالتغييرات التى طرأت على أنشطتهم فكانت نتيجة أن الإيطاليين سمحوا لهم بالاشتغال فى بعض المهن الجديدة، ومع هذا كان عدد اليهود الذين اشتغلوا فى المهن الحرة أو الذين عملوا بالإدارة ضئيلا للغاية بالمقارنة بالوضع الذى ساد فى دول شمال أفريقيا، ويفيد إحصاء أجرى عام ١٩٣٦م انه لم يكن يوجد فى أوساط يهود طرابلس سوى مهندس معمارى واحد، وطبيب، ومدرسين، ومائة وعشرين موظفا.(٦٠)

الخاتمة

■ برهنت الدراسات التاريخية الموضوعية على أن اليهود قد حظوا في ظل الحضارة الإسلامية والثقافة العربية بما لم يحظوا به في أى مرحلة تاريخية أخرى أو أية بقعة جغرافية خارج الثقافة الإسلامية ، فقد أظلهم الإسلام تحت حمايته التشريعية والقانونية في إطار مفهوم (أهل ذمة) الذى إتسعت حدوده لتشمل كل ما يخص اليهود في شئونهم الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وقد بلورت سماحة الإسلام كل ما عرف بعد ذلك في مواثيق حقوق الأقليات التى تكفل لهم حرية الاعتقاد والعمل والحياة الآمنة ، ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد ، بل أتاح الحكم الإسلامى لليهود تولى أعلى المناصب الإدارية والمالية والسياسية ، ذلك في الوقت الذى ساد فيه تجاه اليهود في المجتمعات غير الإسلامية شتى مظاهر التعصب والإضطهاد الدينى .

■ شكلت سماحة الإسلام الإطار العام الذى يضم في سياقه كافة الطوائف اليهودية في العالم الإسلامى ، وفيما عدا هذا الإطار إرتبطت كل طائفة من هذه الطوائف بأحداث ووقائع التاريخ المتعين لهذا القطر أو سواه ، بما يعنى أن تاريخ يهود مصر هو جزء لا يتجزأ من التاريخ المصرى ، وكذلك تاريخ يهود المغرب أو العراق ، فلا وجود لما يسمى (بوحدة التاريخ اليهودى في الشتات) ، والبحث التاريخى المدقق يثبت أن النظر في أحوال اليهود لابد وأن يجرى في إطار (تواريخهم) المتفرقة على (تواريخ) الأمم والشعوب التى عاشوا بين ظهرانيهم .

■ في الوقت الذى أسبغت فيه الحضارة الإسلامية على اليهود من فيض كرمها وتسامحها

ما يضرب به المثل في إحترام الآخر وصون حقوقه ، لم يقابل اليهود مثل هذه المعاملة الطيبة بالحسنى ، بل مارسوا أنشطة اقتصادية تضر بعموم المجتمع في معظم الأحيان، إذ عملوا بالربا وتجارة الخمور والرقيق ، بل إنهم في أحيان أخرى تحالفوا مع

أعداء المسلمين وتآمروا معهم ، بل ساندوا ومكنوا بعضهم من احتلال بعض الأقطار الإسلامية لفترات زمنية طويلة .

■ لقد مست الحاجة في الآونة الأخيرة بعد أن تعرضت الحضارة الإسلامية والشخصية العربية لمنظومة مستمرة ومتكاملة من التشويه التاريخى المتعمد بأيدى بعض المستشرقين والمؤرخين اليهود ، لأن ينتبه الباحثون العرب والمسلمون إلى خطورة ألا يقوم المؤرخون العرب أنفسهم بقراءة وثائقهم ونقوشهم قراءة موضوعية تميط اللثام عن الحقائق التاريخية الموضوعية والوجه المضئ للحضارة الإسلامية ، بعد أن أحتكر باحثوا الغرب وبعض المستشرقين المغرضين هذه المهمة المؤثرة طوال العقود الزمنية الماضية ، ولن يتكفل بهذه المسئولية سوى أجيال من الباحثين العرب مزودة بكافة المهارات المتصلة بقراءة النقوش والمخطوطات وتسجيل البيانات الآثرية ، وحفظ المعلومات طبقا للتقنيات العلمية المتطورة المعروفة في مجال البحث التاريخى .

هوامش الدراسة

١) سوسه ، (د.أحمد) : ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق ، مركز الدراسات الفلسطينية ، جامعة بغداد ، بغداد ، سلسلة دراسات فلسطينية (١٢) ، ط١ ، ١٩٧٨ ، ص٨-١٠ .

٢) حسن ، (د. محمد خليفة) : رؤية عربية فى تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته، القاهرة ، ١٩٩٥م . ص ١١-١٢) .

٣) حسن ، (د. محمد خليفة) : نفسه ، ص ٢٢٦ .

٤) حمدان ، (د.جمال) : اليهود انثروبولوجيا) ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧م ، ص٨ وما بعدها .

٥) حمدان ، (د.جمال) : نفسه ، ص ٨ - ١٦ .

٦) سوسه ، (د.جمال) : المرجع السابق ، ص ٣-٥ .

٧) المسيري ، (د. عبدالوهاب) : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، (رؤية نقدية) ، مركز دراسات الأهرام ، القاهرة ، ١٩٧٥م ، ص١٢٦-١٢٩.

٨) حسن ، (د. محمد خليفة) : المرجع السابق ، ص ١٩ .

٩) على محمد شحاته ريه ، (عطا) : اليهود فى بلاد المغرب الأقصى فى عهد المرينيين والوطاسيين ، ط١ ، دار الكلمة للطباعة والنشر ، دمشق ، ١٩٩٩م ، ص٢٠-٢١ .

١٠) سوسه ، (د.أحمد) : المرجع السابق ، ص٢٠ .

١١) كيوان ، (مأمون) : اليهود فى الشرق الأوسط ،ط١ ، الأهلية للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٩٦ ، ص ١٩ - ٢٠ .

١٢) كيوان ، (مأمون) : نفسه ، ص ٢٠ - ٢٢ .

١٣) البراك ، (د.فاضل) : المدارس اليهودية والايرانية فى العراق (دراسة مقارنة)، ط٢ ، بغداد ، ١٩٨٥م ، ص٣٧-٤١ .

١٤) البراك ، (د. فاصل) : نفسه ، ص٢٣-٢٦ .

١٥) البراك ، (د. محمد حسن) : يهود الشرق فى أدب يهودا بورلا ، رسالة لنيل درجة الدكتوراه من كلية الأداب - جامعة عين شمس ، (رسالة غير منشورة) : ١٩٨٨م، ص٤٨-٥٨ .

١٦) عبدالخالق ، (د. محمد حسن) : نفسه ، ص٤٨ وما بعدها .

١٧) كيوان ، (مأمون) : المرجع السابق ، ص ٤٩ - ٥٠ .

١٨) عبد الخالق ، (د. محمد حسن) : المرجع السابق ، ص ٥٢/٥١ .

١٩) عبد الخالق ، (د. محمد حسن) : نفسه ، ص ٥٣ .

٢٠) كيوان ، (مأمون) : المرجع السابق ، ص ٤٨-٤٩ .

٢١) كيوان ، (مأمون) : نفسه ، ص ٥٠-٥٤ .

٢٢) سوسه ، (د. أحمد) : المرجع السابق ، ص ٢٣٥ .

٢٣) سوسة ، (د.أحمد) : المرجع السابق ، ص٢٣٩ - ٢٤٠ .

٢٤) سوسه ، (د. أحمد) : المرجع السابق ، ص ٢٣٥ .

٢٥) سوسة ، (د.أحمد) : نفسه ، ص٢٤١ .

٢٦) سوسة ، (د.أحمد) : نفسه ، ص ٢٤٤-٢٤٥.

٢٧) سوسة ، (د.أحمد) : نفسه ، ص٢٤٥-٢٤٦.

٢٨) مزنر ، (حسين فؤاد) : اطماع اليهود وأسفارهم ، دار الكتب الثقافية ، بيروت ، ١٩٨٩م ، ص ٤٩ وما بعدها .

٢٩) مهران ، (د. محمد بيومى) : الحضارة العربية القديمة (مصر والشرق الأدنى القديم) (٧) ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٨م ، ص ٤٢٤-٤٢٥ .

٣٠) كيوان ، (مأمون) : المرجع السابق ، ص ٦٥.

٣١) كيوان ، (مأمون) : نفسه ، ص٦٦ - ٦٧ .

٣٢) اتينجر ، (صموئيل) : اليهود فى البلدان الإسلامية (١٨٥٠ - ١٩٥٠) ، ترجمة: د. جمال أحمد الرفاعى ، مراجعة : د. رشاد عبد الله الشامى ، (عدد ١٩٧) ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والأدب ، الكويت ، ١٩٩٥ ،

ص٧٧ .

٣٣) كيوان ، (مأمون) : المرجع السابق ، ص ٦٧ - ٦٨ .

٣٤) كيوان ، (مأمون) : نفسه ، ص٧٣ - ٧٤ .

٣٥) كاشف ، (د. سيدة إسماعيل) : مصر الإسلامية وأهل الذمة ، (تاريخ المصريين ٥٧) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٣م ، ص٥٢-٥٣، ١٦٥ - ١٦٦ .

٣٦) نصار ، (سهام) : اليهود المصريون بين المصرية والصهيونية ، ط١ ، دار الوحدة، بيروت ، ١٩٨٠م ، ص١٧-١٩ .

٣٧) نصار ، (سهام) : نفسه ، ص ١٩ - ٢١ .

٣٨) عبده على ، (عرفه) : ملف اليهود فى مصر الحديثة ، مكتبة مدبولى ، القاهرة، ١٩٩٣م ، ص١٥٤ - ١٥٦ .

٣٩) كيوان ، (مأمون) : المرجع السابق ، ص٨٤ .

٤٠) على محمد شحاته ربه ، (عطا) : المرجع السابق ، ص٢٣ - ٣١ .

٤١) أتينجر ، (صموئيل) : المرجع السابق ، ص٢٨٧ - ٢٨٨ ، ٢٩٤ -٢٩٥.

٤٢) أتينجر ، (صموئيل) : نفسه ، ص ٢٩٥ .

٤٣) أتينجر ، (صموئيل) : نفسه ، ص ٣٠٧ - ٣٠٩ .

٤٤) أتينجر ، (صموئيل) : نفسه ، ص٣١٢ - ٣١٣ .

٤٥) كيوان ، (مأمون) : المرجع السابق ، ص ٨٩ - ٩٠ .

٤٦) أتينجر ، (صموئيل) : المرجع السابق ، ص ٢٨٨ - ٢٨٩

٤٧) أتينجر ، (صموئيل) : نفسه ، ص ٣٠٨ - ٣٠٩ .

٤٨) أتينجر ، (صموئيل) : نفسه ، ص ٣١٢ .

٤٩) أتينجر ، (صموئيل) : نفسه ، ص ٣٥٩ - ٣٦٠ .

٥٠) كيوان ، (مأمون) : المرجع السابق ، ص٩٢ - ٩٣ .

٥١) كيوان ، (مامون) : نفسه ، ص ٩٣-٩٤ .

٥٢) محمد حمادى ، (الطيب) : اليهود ودورهم فى دعم الاستيطان البطلمى والرومانى فى إقليم برقة ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازى ، ط١ ، ١٩٩٤ ، ص ٩٤ - ٩٧ .

٥٣) كيوان ، (مأمورن) : المرجع السابق ، ص ٨٦ - ٨٧ .

٥٤) أتينجر ، (صموئيل) : المرجع السابق ، ص٢٩٢ .

٥٥) أتينجر ، (صموئيل) : نفسه ، ص٢٩٦ .

٥٦) أتينجر ، (صموئيل) : نفسه ، ص٣٠٣ .

٥٧) أتينجر ، (صموئيل) : نفسه ، ص٣٠٨ .

٥٨) أتينجر ، (صموئيل) : نفسه ، ص٣٣٠ .

٥٩) أتينجر ، (صموئيل) : نفسه ، ص٣٣٦ .

٦٠) أتينجر ، (صموئيل) : نفسه ، ص٣٧٩ - ٣٨٠ .

مصادر الدراسة

١- **إسماعيل كاشف ، (د. سيدة)** : مصر الإسلامية واهل الذمة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة - ١٩٩٣م .

: مصر في فجر الإسلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٩.

٢- **البراك ، (د. فاضل)** : المدارس اليهودية والإيرانية في العراق (دراسة مقارنة) ، ط٢ ، بغداد ، ١٩٨٥م .

٣- **الطويل ، (محمد)** : يهود في برلمان مصر ، مطبوعات الشعب ، القاهرة ، ١٩٨٨.

٤- **المسيرى ، د. عبد الوهاب** : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية (رؤية نقدية)، مركز دراسات الأهرام ، القاهرة ، ١٩٧٥م .

٥- **حسين مزنر ، (فؤاد)** : اطماع اليهود وأسفارهم ، دار الكتب الثقافية ، بيروت - ١٩٨٩م .

٦- **حمدان ، (د. جمال)** : اليهود انثروبولوجيا ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧.

٧- **عبده على ، (عرفه)** : ملف اليهود في مصر الحديثة : مدبولى ، القاهرة ، ١٩٩٣م.

٨- **عبده قاسم (د. قاسم)** : اليهود في مصر ، دار الفكر للدراسات والنشر ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٨٧ .

٩- **عبد الحميد سيد ، (د. نبيل)** : اليهود في مصر بين قيام إسرائيل والعداون الثلاثى (١٩٤٨-١٩٥٦م) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩١م .

١٠- **على محمد شحاته رية ، (عطا)** : اليهود في بلاد المغرب الأقصى ... ط١ ، دار الكلمة للطباعة والنشر ، دمشق ، ١٩٩٩م .

١١- **عبد الكريم عكاشة ، (د. محمد)** : يهود اليمن والهجرة إلى فلسطين ١٨٨١ -

١٩٥ ، ط٢ ، غزة ، ١٩٩٨م.

١٢- **فهمى** ، (**وليم**) : الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٧١م .

١٣- **كيوان** ، (**مأمون**) : اليهود في الشرق الأوسط ، ط١ ، الأهلية للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٩٦م .

١٤- **محمد حسنى** ، (**د. سعيدة**) : اليهود في مصر (١٨٨٢ - ١٩٤٨) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٣م .

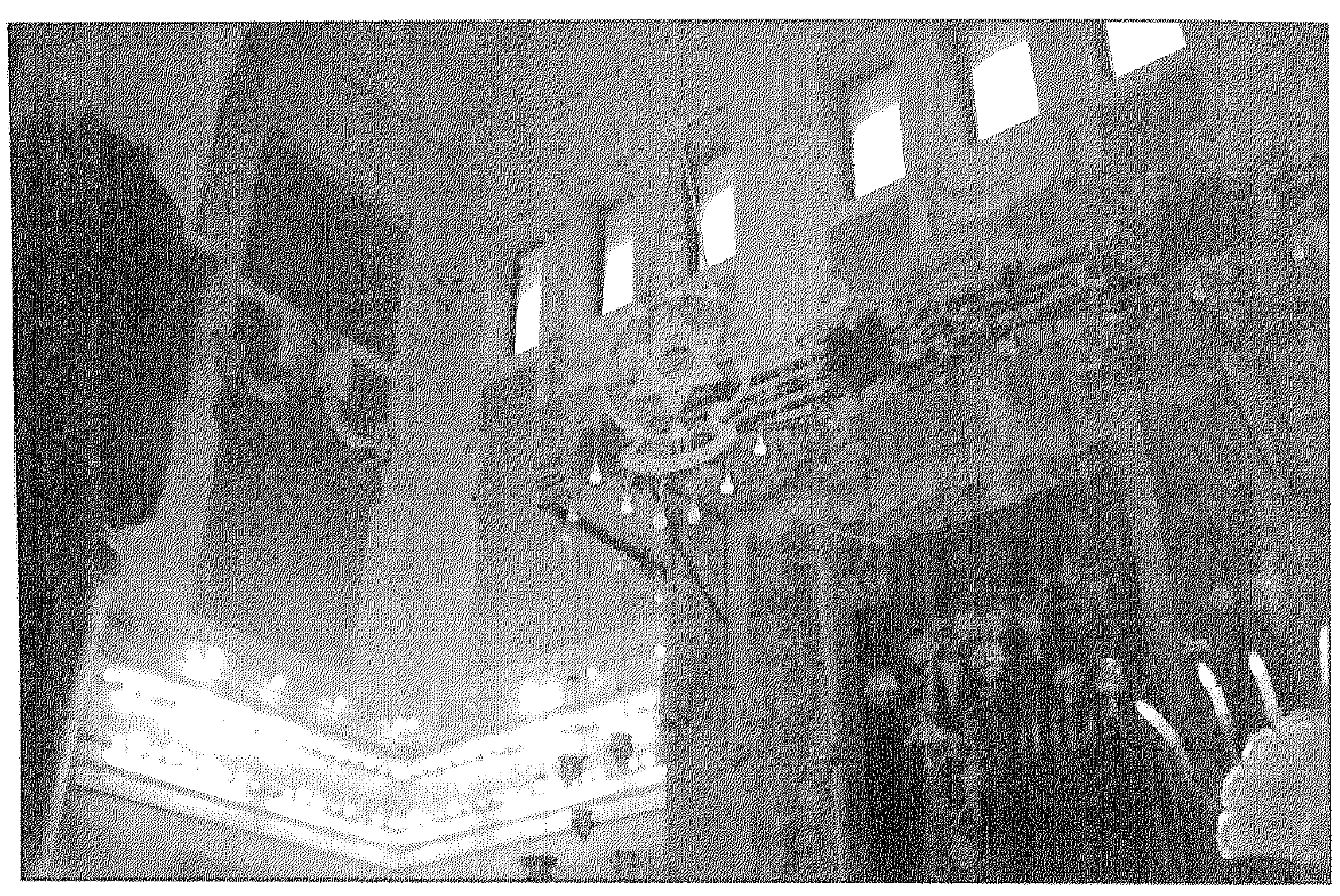
١٥- **محمد حمادى** ، (**الطيب**) : اليهود ودورهم في دعم الاستيطان البطلمى والرومانى في إقليم برقة ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازى ، ط١ ، ١٩٩٤م .

١٦- **مصطفى عبد النبى** ، (**محمد**) : العصر الذهبى لليهود في مصر ، دار الصديقان للنشر والإعلان ، الإسكندرية ، ج١ ، ١٩٩٧م .

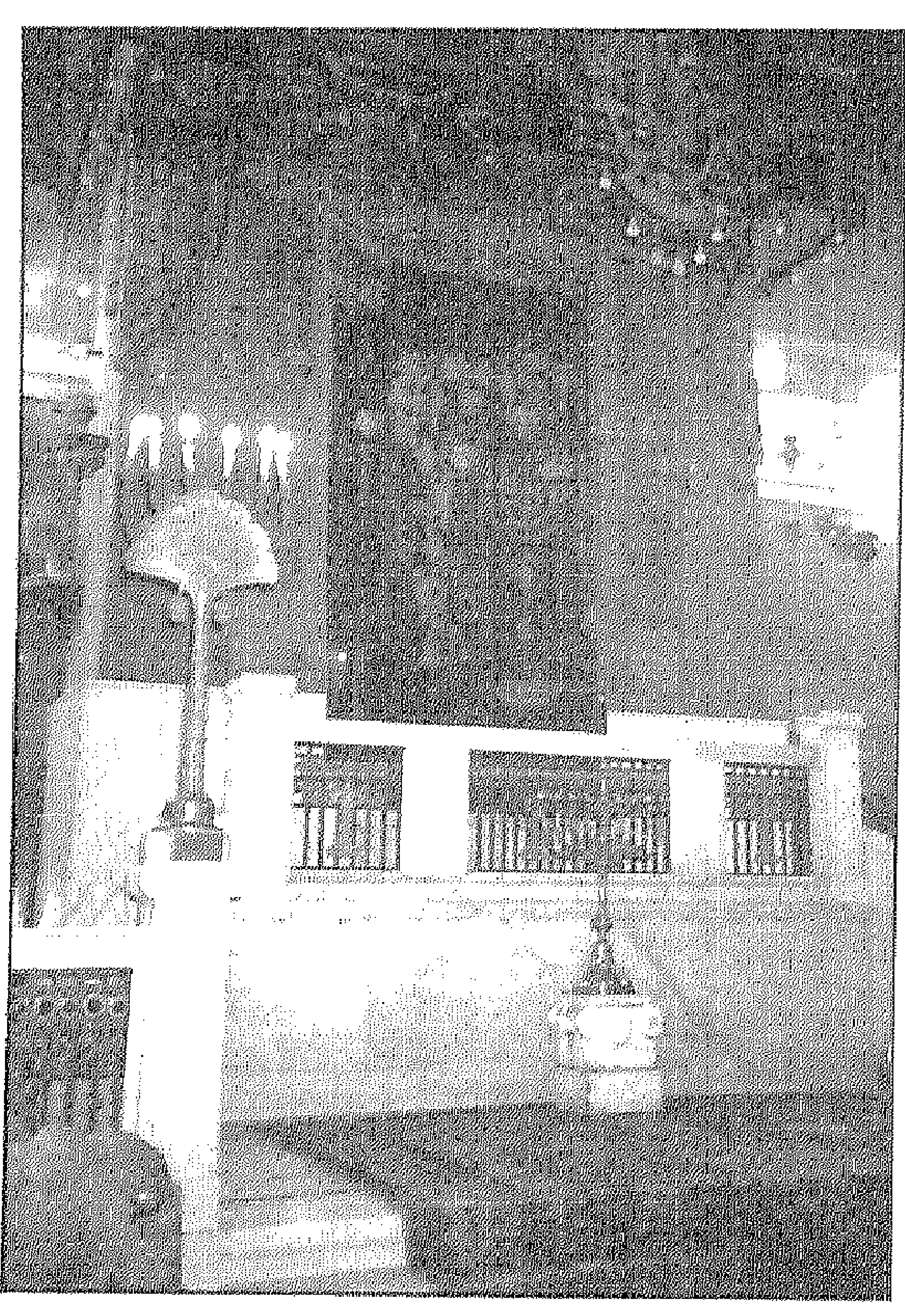
١٧- **موسى النبهانى** ، (**محمد**) : النشاط الصهيونى الماسونى في الوطن العربى ، ج١ ، ط١ ، مكتبة الدار القومية للكتاب العربى ، بغداد ، ١٩٨٥م .

١٨- **نصار** ، (**سهام**) : اليهود المصريون بين المصرية والصهيونية ، ط١ ، دار الوحدة ، بيروت ، ١٩٨٠م .

صور المعابد والآثار اليهودية



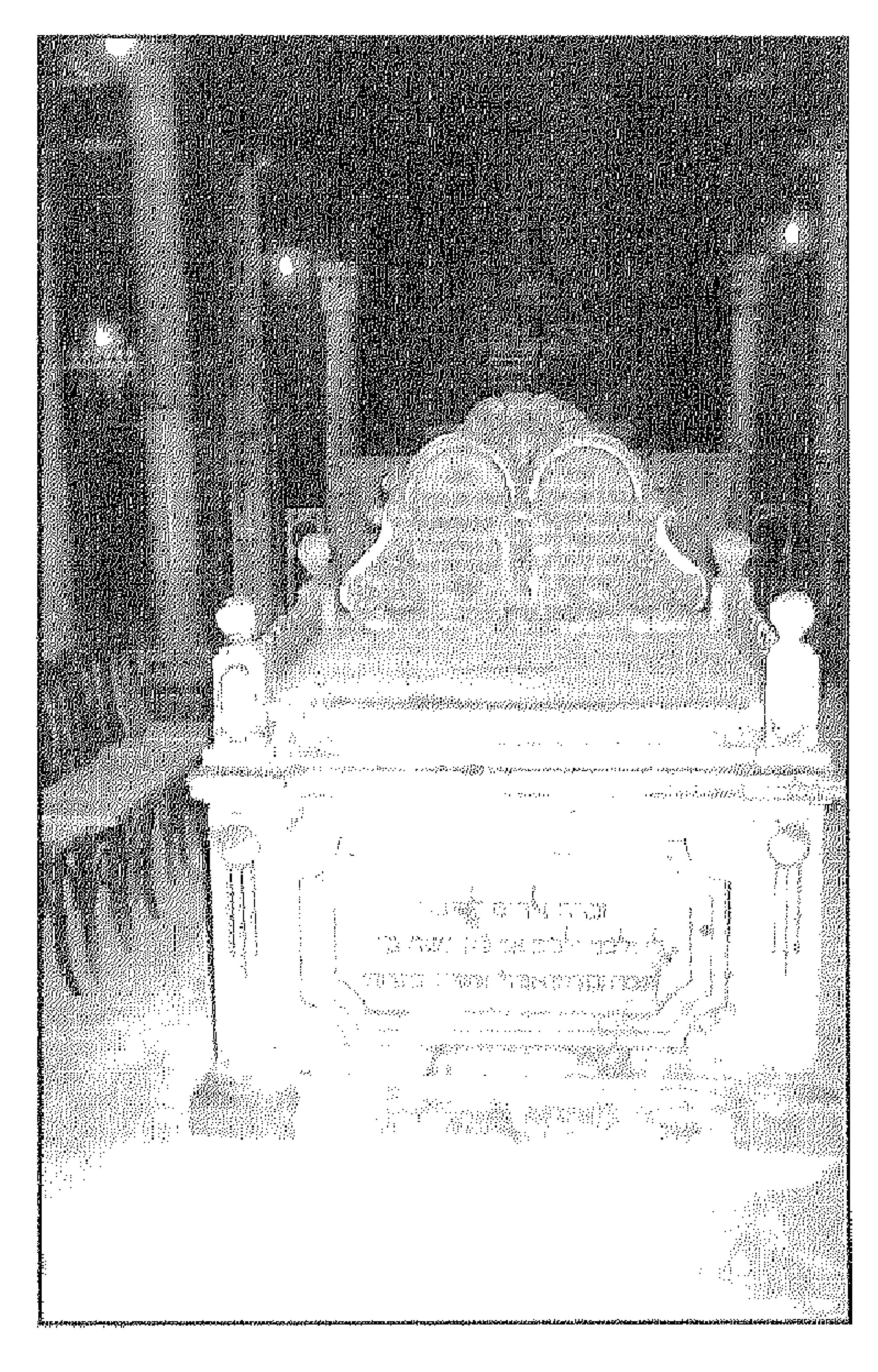
نجمة داود (ماجين دافيد) رمز يهودي ينسب إلى سليمان الملك عليه السلام الذي أورثه لحكماء اليهود من بعده



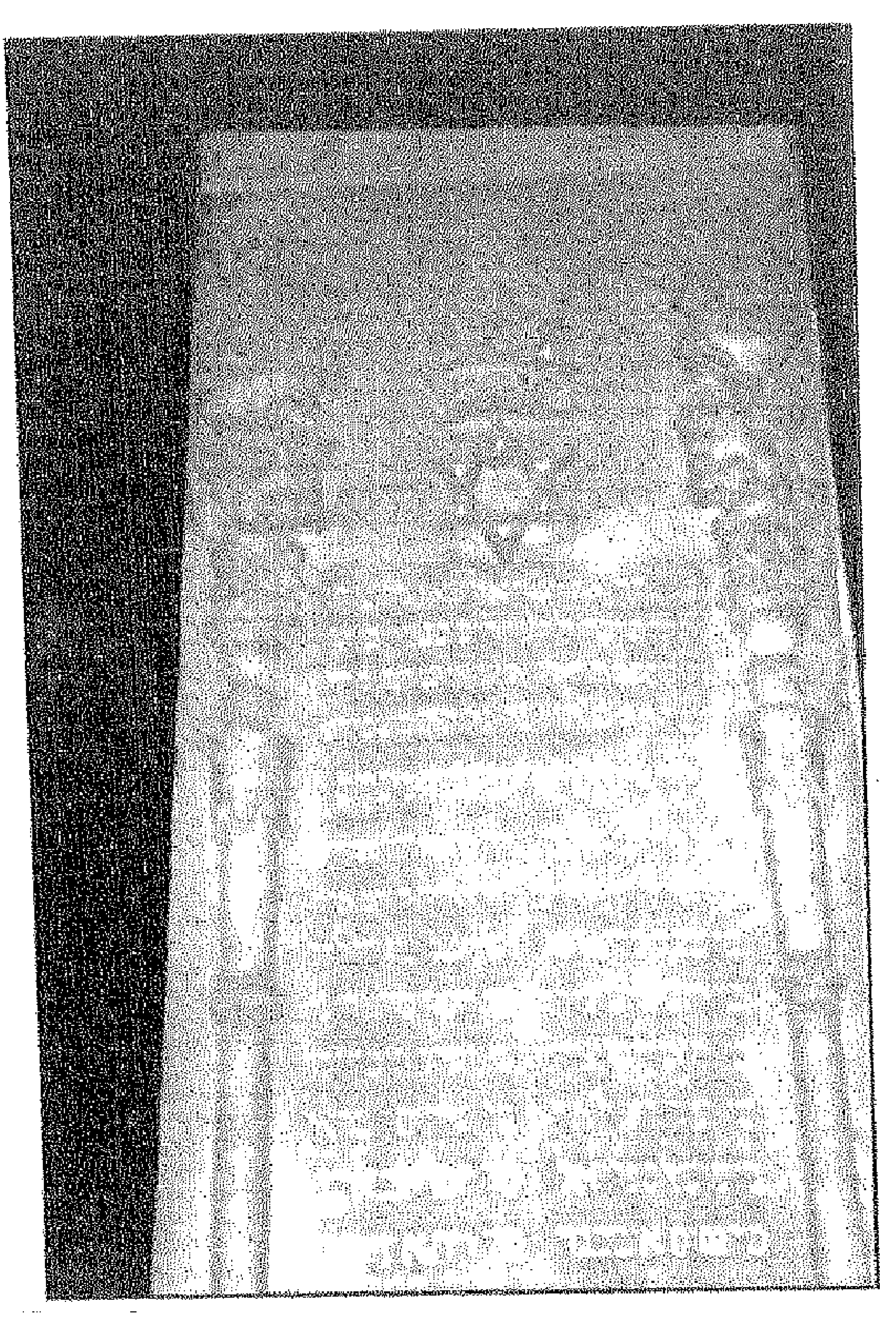
تتوسط الصورة (المنوراة) الشمعدان ذو الأفرع السبعة، وهي من الرموز الدينية التي تحظى بمكانة (جزء من محراب معبد عدلي القاهرة)



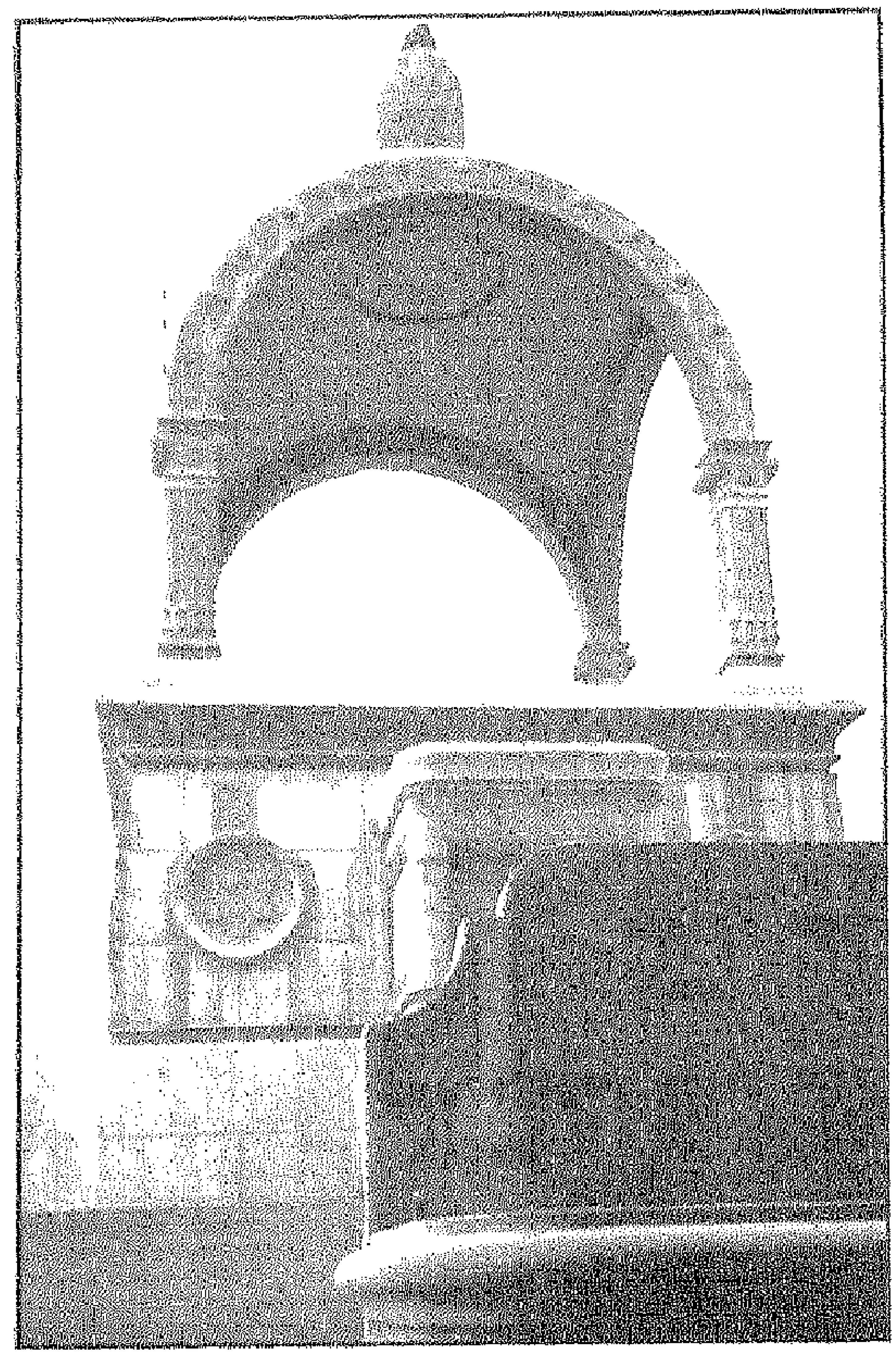
امخطوط أشعار موسى الخمسة (التوراة) في (لفائف الشريعة) الموضوعة في الصندوق الخشبي المقدس



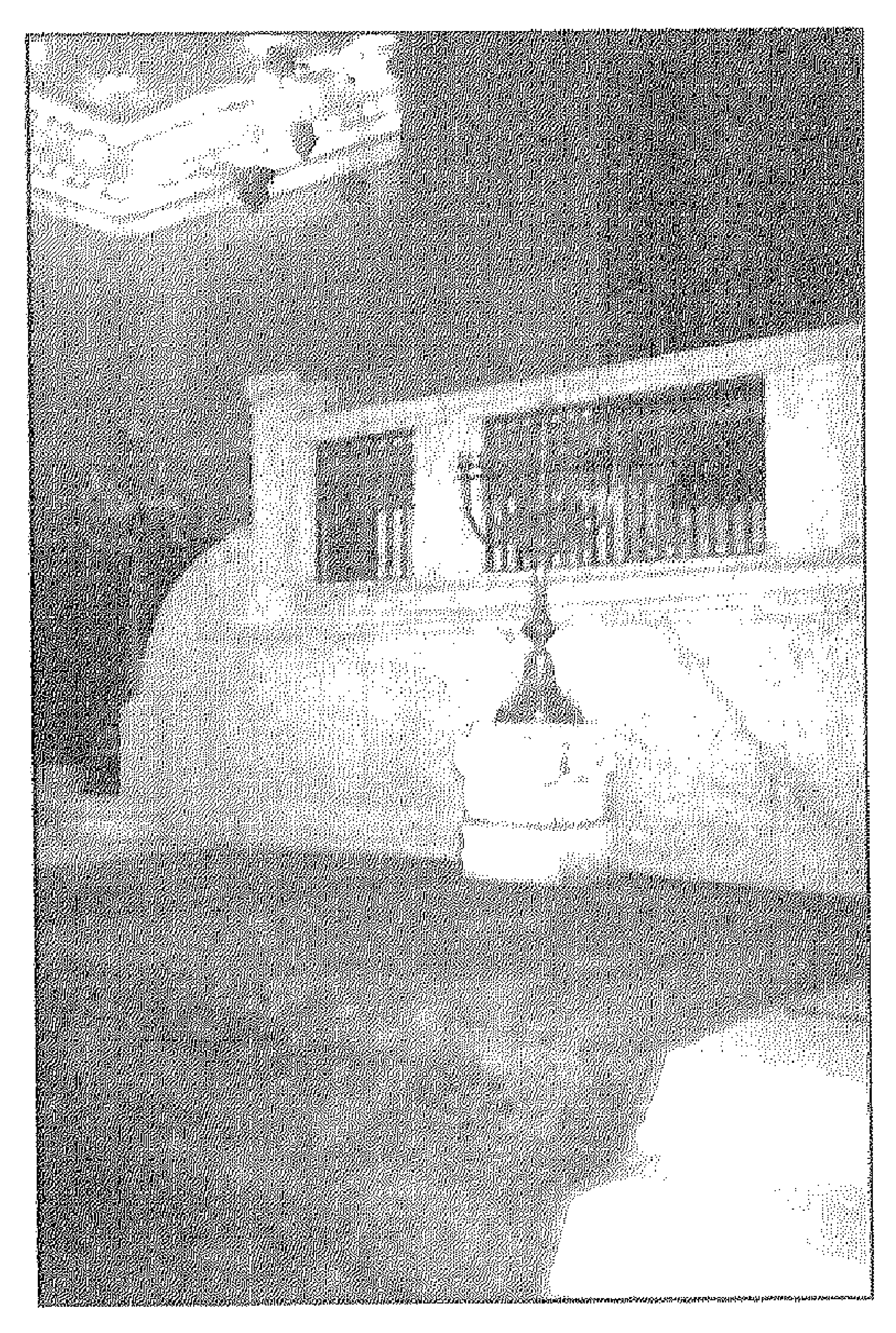
كرسي العرش، جزء من محراب معبد عدلي بالقاهرة



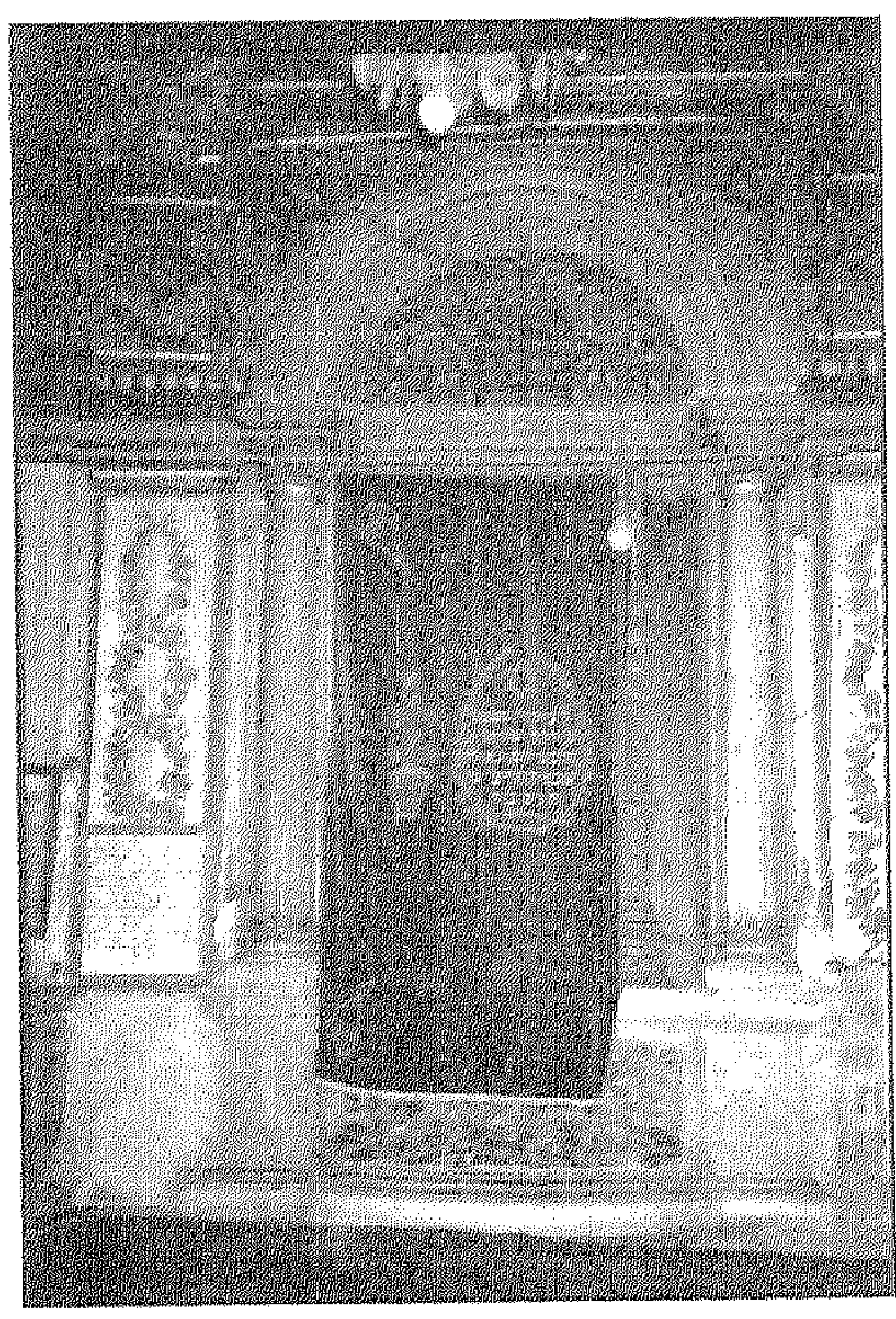
فنون مصرية / يهودية من القرون الوسطى معبد ابن
عزرا - مصر العتيقة - القاهرة



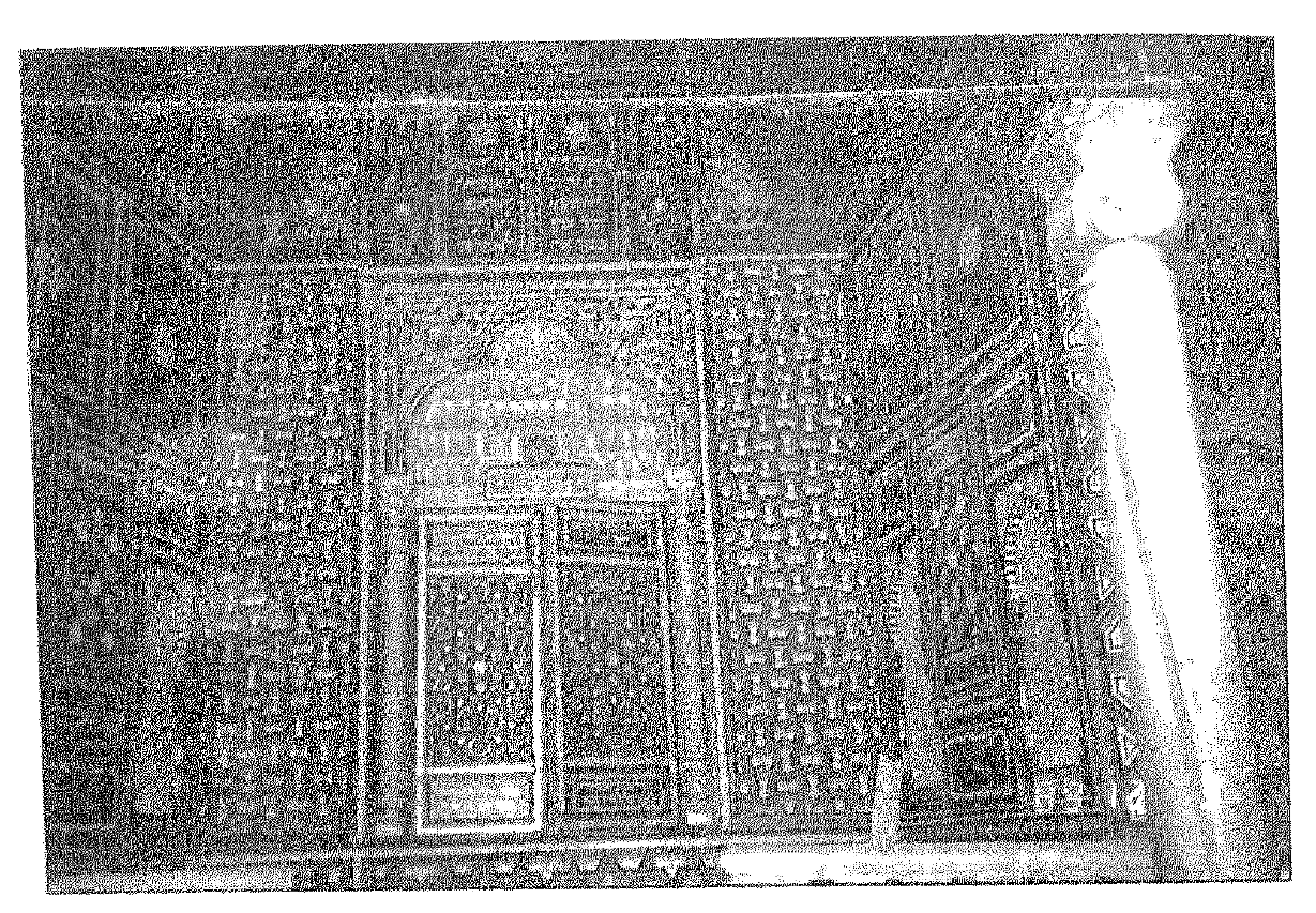
من المقابر اليهودية - البساتين - القاهرة



الشمعدان اليهودي - معبد عدلي القاهرة



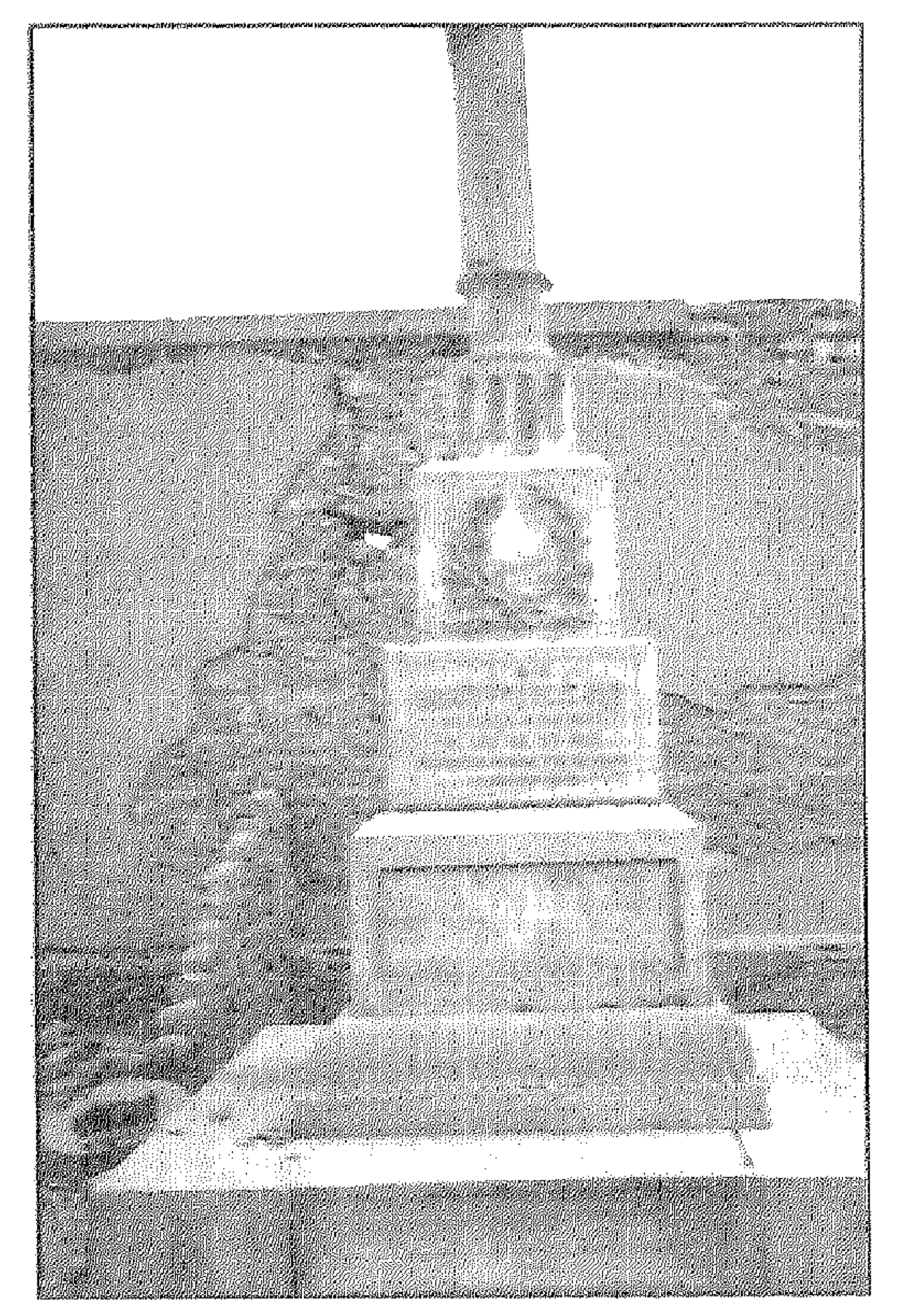
محراب الصلاة - معبد عدلي القاهرة



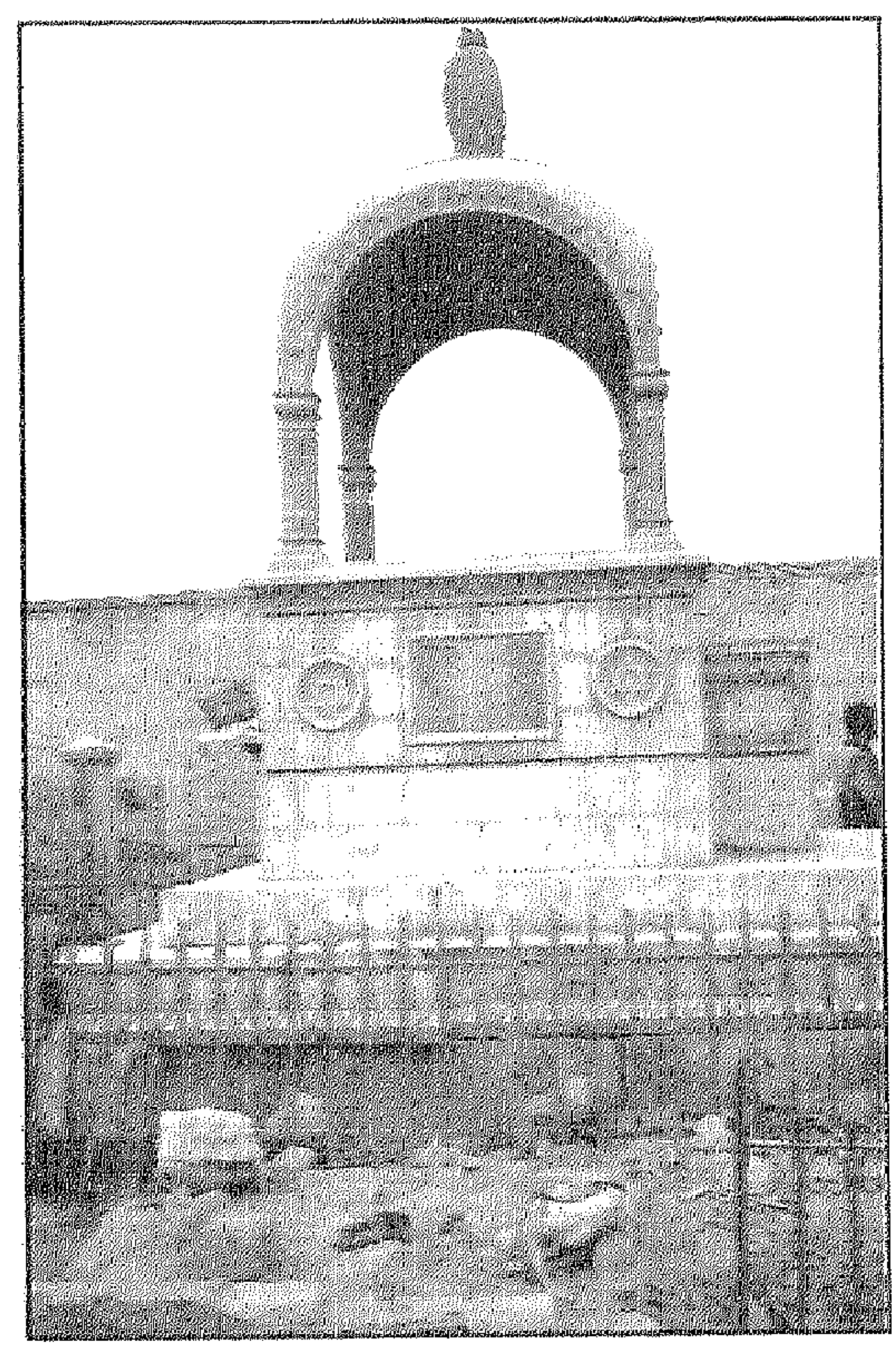
صور غرفة الجنيزاه من معبد ابن عزرا - مصر العتيقة - القاهرة



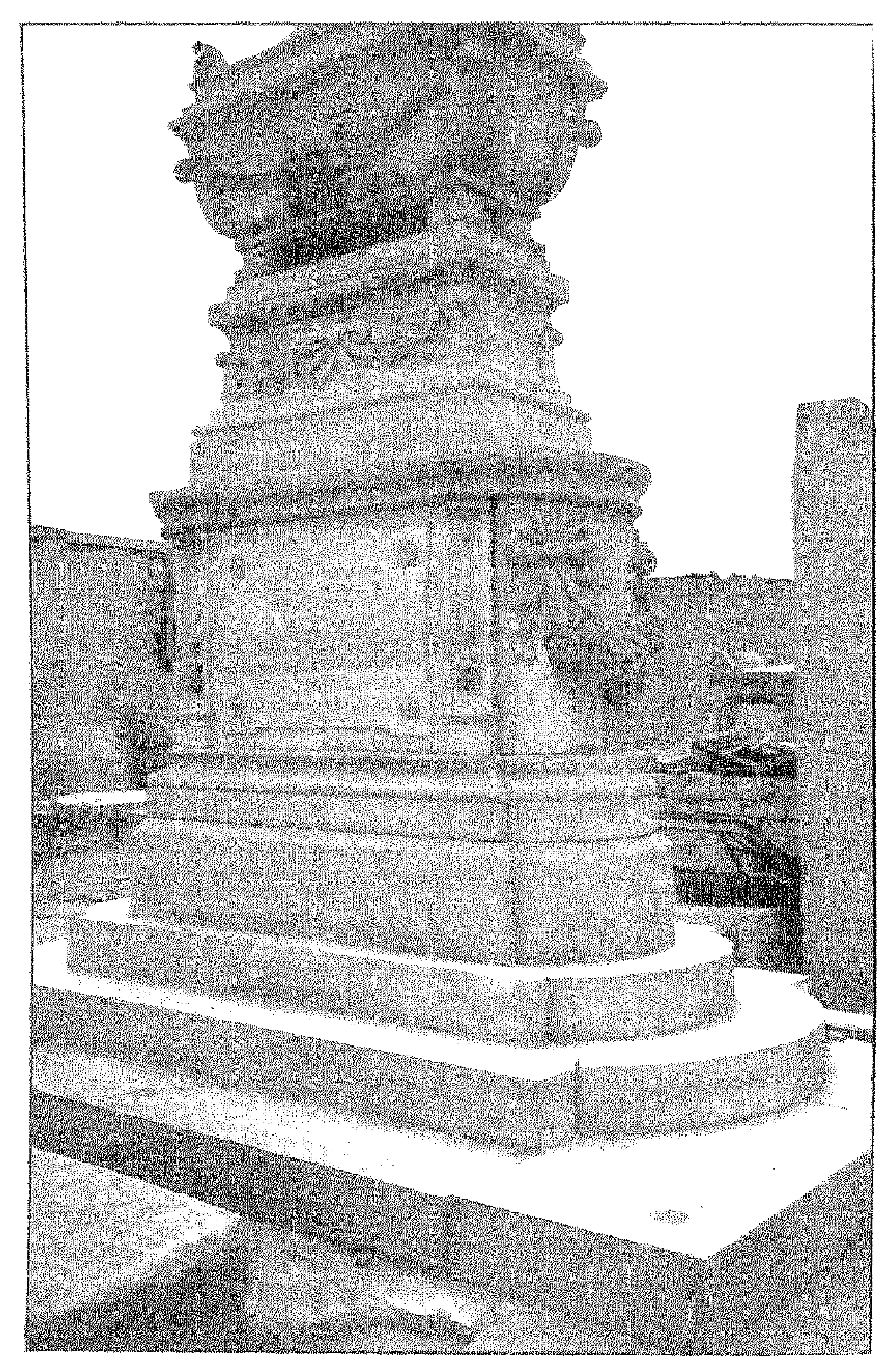
مدخل المدرسة الدينية (اليشيفاه)
بميدان الجيش - القاهرة



المقابر اليهودية - البساتين - القاهرة



من المقابر اليهودية - البساتين - القاهرة



من المقابر اليهودية - البساتين - القاهرة



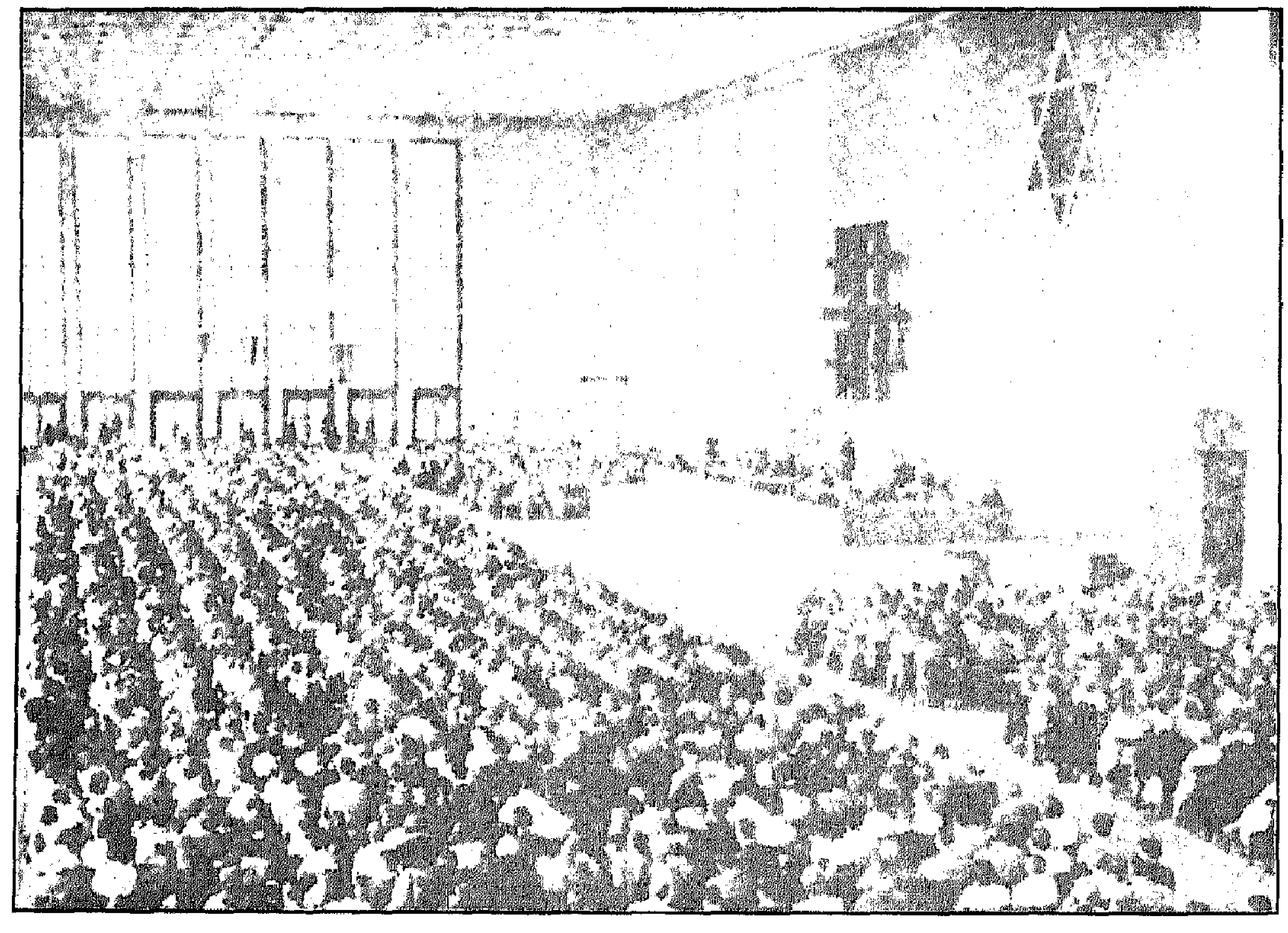
حسيديم - يحيطون بالصديق أثناء الوجبة الثالثة من يوم السبت



حسيسيم في القدس يرتدون لباساً خاصاً بمناسبة دينية

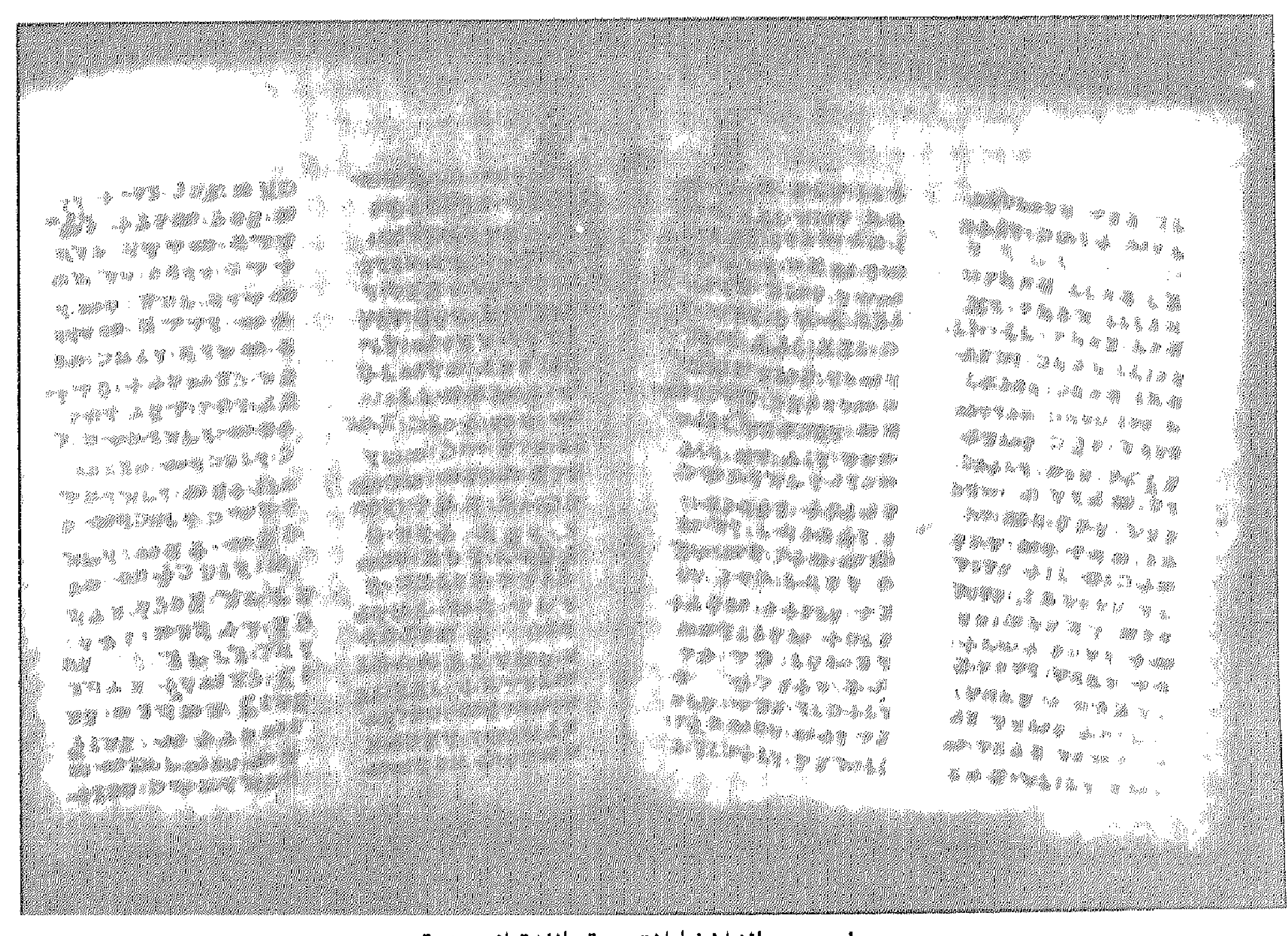

يهود دمشق


يهود اليمن

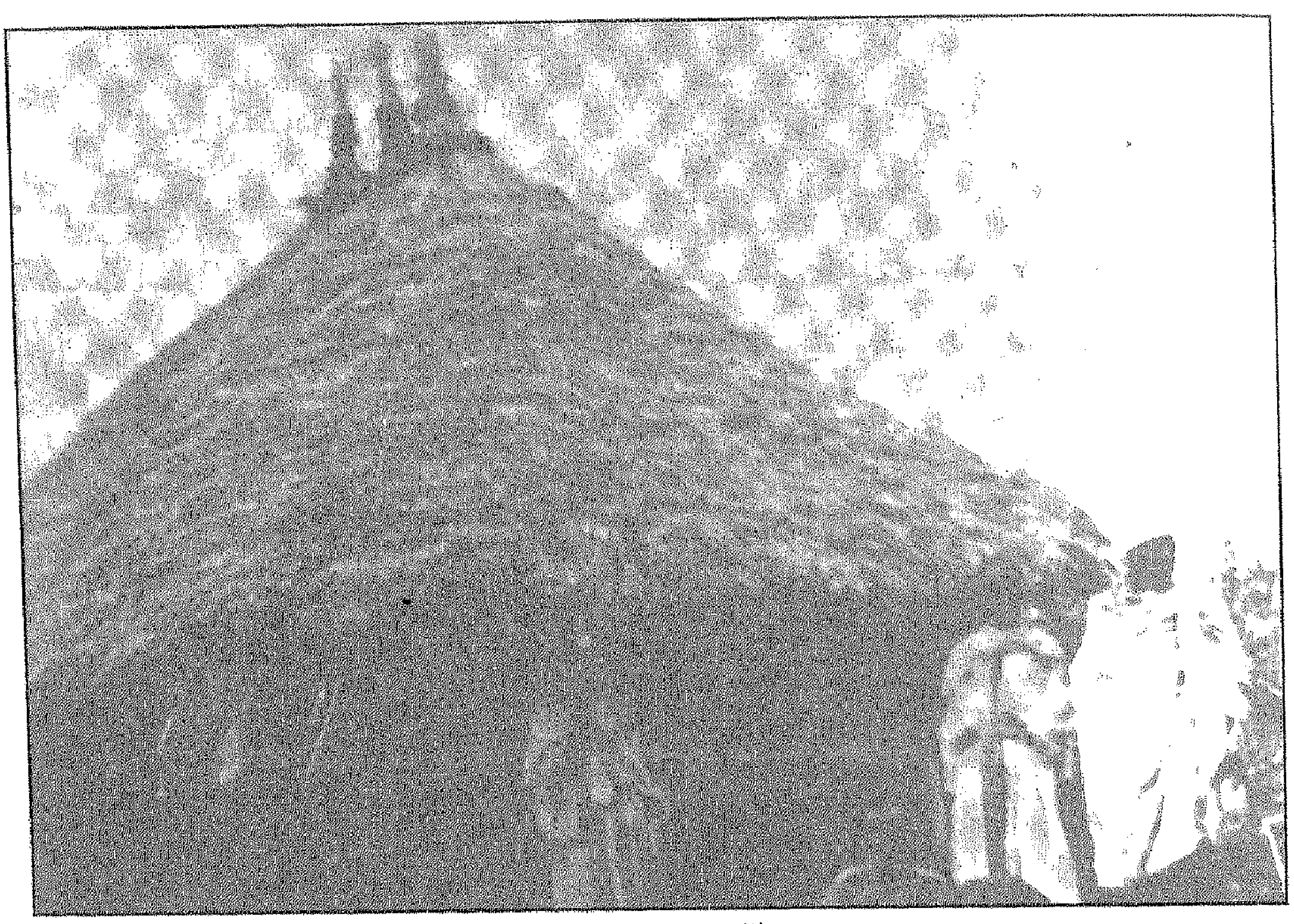

احد المؤتمرات الصهيونية



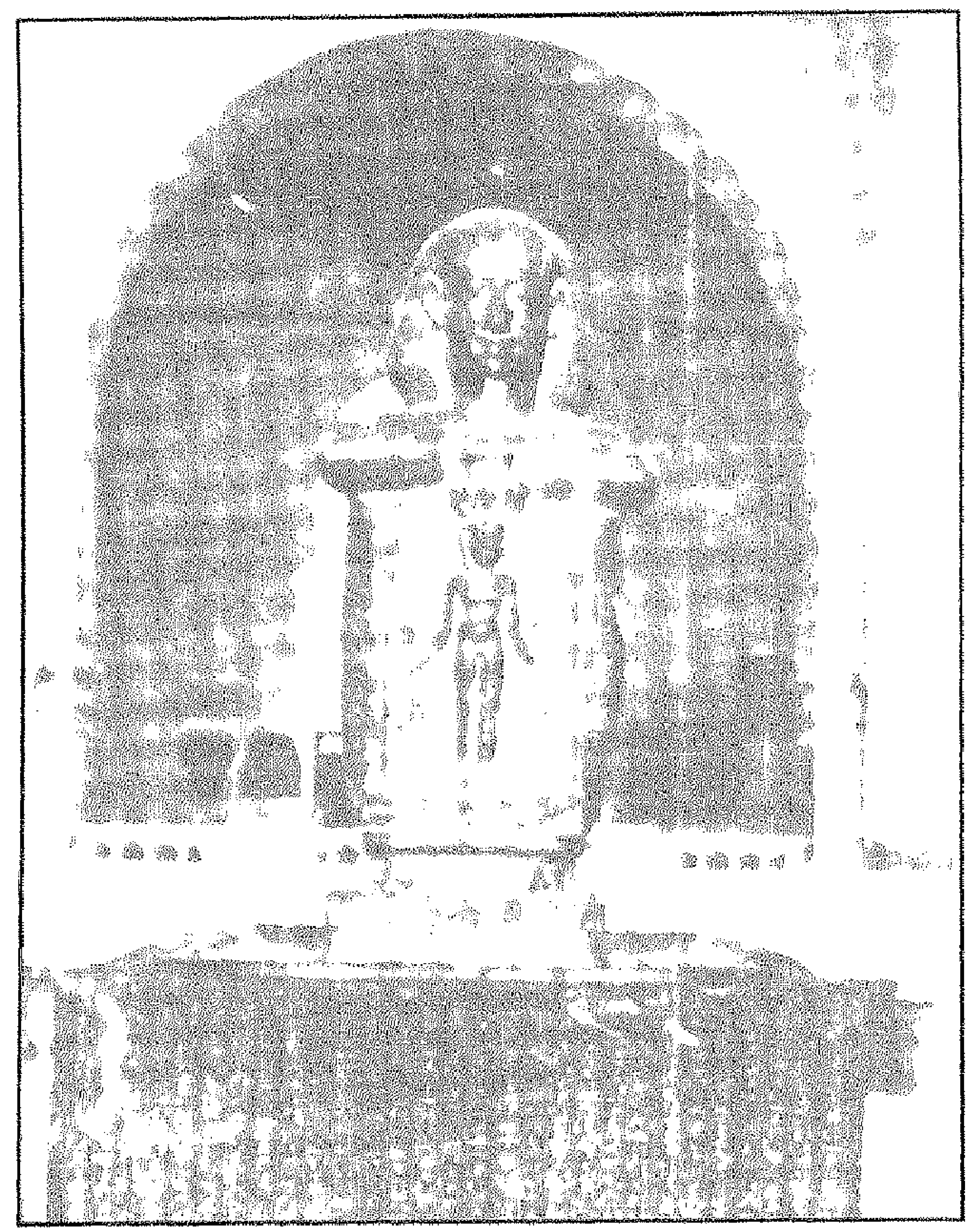
إمرأة من يهود الفلاشا



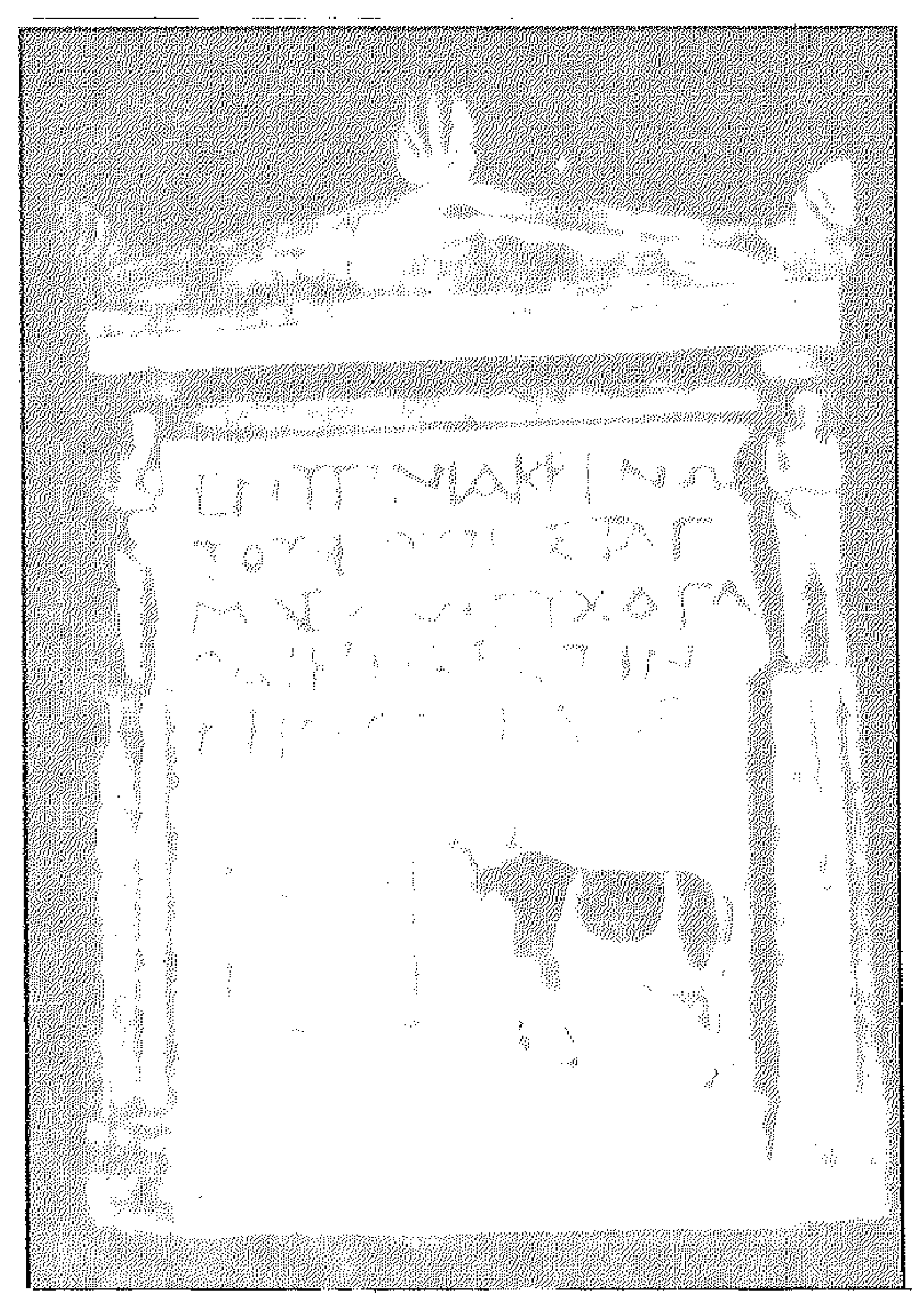
من نصوص الفلاشا المقدسة باللغة الجعزية



الكنيس عند الفلاشا



لوحة شفائية تمثل الكاهن جدحر جالساً القرفصاء



لوحة جنائزية من الحجر الجيري رسم عليها عجل إبيس بألوانه التقليدية الأبيض والأسود



عجل إبيس الاله بالمتحف الروماني اليوناني بالاسكندرية



الاله مثرا الفارسي يصرع الثور ويذبحة بسكين في يده

إصدار : مركز زايد للتنسيق والمتابعة
أبوظبي - الامارات العربية المتحدة
ص.ب : ٥٧٢٧ - تلفون : ٦٦٦١٣٠ (٠٠٩٧١٢) - فاكس : ٦٦٦٣٠٨٨ (٠٠٩٧١٢)